هل يغطي انسحاب البعثة الأممية على أزمات العراق
ص3

قصة اليوم التالي الذي قلب نتائج انتخابات 2019 في الجزائر
ص7

«صوت الحرية».. صرخة شجاعة ضد أبشع جرائم العصر
ص12

العرب
www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2024/06/02
25 ذو القعدة 1445
السنة 47 العدد 13148
Sunday 02/06/2024
47th Year, Issue 13148
47 عاما 2024-1977

مبادرة أميركية للتهدئة تتيح لإسرائيل مواصلة الحرب وقت تشاء

عرض بايدن فرصة قد لا تتكرر أمام حماس

واشنطن - عرض الرئيس الأميركي جو بايدن الجمعة مقترحا قال إنه مبادرة إسرائيلية لوقف إطلاق النار من ثلاث مراحل لإنهاء الحرب.

ورغم الجدول الزمني وتفصيل الفقرات، بما يوحي بأن التهدئة ستكون شاملة، فإن عرض بايدن يترك الأمور عمليا مثلما هي لإسرائيل لتواصل الحرب متى ارتأت ذلك فيما يضع الضغط على حركة حماس بالتأكيد أن رفضها للمبادرة سيعني استمرار إسرائيل في الحرب، خاصة أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قد كسب جولة على حسابها باجتياح رفح، ما يجعل العرض فرصة قد لا تتكرر للحركة.

وقال نتنياهو السبت إنه لا يمكن أن يكون هناك وقف دائم لإطلاق النار في قطاع غزة قبل تدمير حماس، وهو ما يعني أن عليها أن تختار بين أن تقبل بالعرض وتوقف اشتراطاتها أو أن الحرب ستستمر بأكثر ضراوة.

وجاء رد حماس سريعا، حيث قالت الجمعة إنها مستعدة "للتعامل بشكل إيجابي وبناء مع أيّ مقترح يقوم على أساس وقف إطلاق النار الدائم والانسحاب الكامل من قطاع غزة..".

ويدعو العرض إلى وقف إطلاق النار والإفراج عن الرهائن الإسرائيليين والسجناء الفلسطينيين وإعادة إعمار غزة.

> رغم الجدول الزمني وتفصيل الفقرات، يترك عرض بايدن الأمور عمليا مثلما هي لإسرائيل لتواصل الحرب متى ارتأت ذلك

وقال مسؤول أميركي كبير إن الخطة التي تقع في أربع صفحات ونصف الصفحة أُرسلت إلى حماس للمراجعة يوم الخميس وإنها "متطابقة تقريبا" مع اقتراح كانت حماس قد قبلته بالفعل.

وتتضمن المرحلة وقف إطلاق النار والإفراج عن عدد محدود من الرهائن وانسحاب إسرائيلي، لكن من المناطق السكنية وليس إلى حدود السادس من أكتوبر.

وقال بايدن إن المرحلة الأولى من العرض الإسرائيلي ستستمر ستة أسابيع وستشمل وقف إطلاق النار على نحو "كامل وشامل" وانسحاب القوات الإسرائيلية من "جميع المناطق المأهولة بالسكان" في غزة و"إطلاق سراح عدد من الرهائن بمن في ذلك النساء وكبار السن والجرحى في مقابل إطلاق سراح المئات من السجناء الفلسطينيين".

وأضاف بايدن أنه في هذه المرحلة سيعود المدنيون الفلسطينيون إلى منازلهم وأحيائهم في جميع مناطق غزة، في حين ستزداد المساعدات الإنسانية إلى 600 شاحنة تحمل المساعدات إلى غزة يوميا.

وتابع بايدن "مع وقف إطلاق النار، يمكن توزيع هذه المساعدات بأمان وفاعلية على كل من يحتاج إليها. ويمكن للمجتمع الدولي تسليم مئات الآلاف من الملاجئ المؤقتة، بما في ذلك وحدات سكنية"، وقال إن المرحلة الأولى يمكن أن تبدأ فور التوصل إلى اتفاق.

وستشمل المرحلة الأولى أيضا محادثات بين إسرائيل وحماس للوصول إلى المرحلة التالية من الاقتراح.

أما المرحلة الثانية فتشمل إطلاق سراح جميع الرهائن، والانسحاب الإسرائيلي الكامل. وأطلق بايدن على هذه المرحلة وصف "نهاية دائمة للأعمال القتالية". لكنه أضاف أن المفاوضات للوصول إلى المرحلة الثانية قد تستغرق أكثر من ستة أسابيع حيث ستكون هناك خلافات بين الجانبين.

وقال بايدن "سنريد إسرائيل التأكد من حماية مصالحها ولكن الاقتراح يقول إذا استغرقت المفاوضات أكثر من ستة أسابيع من المرحلة الأولى، فإن وقف إطلاق النار سيستمر طالما استمرت المفاوضات"، وهو ما سيمثل تطورا جديدا عن المقترحات السابقة.

وتابع أن الولايات المتحدة وقطر ومصر ستضمن استمرار المحادثات خلال هذه الفترة حتى "التوصل إلى جميع الاتفاقات" لبدء المرحلة الثانية.

وأشار مصدر رفيع المستوى إلى اجتماع ثلاثي، مصري - أميركي - إسرائيلي، مزمع في القاهرة الأحد، لبحث إعادة تشغيل معبر رفح.

وقال المصدر في تصريح لقناة "القاهرة الإخبارية" إن مصر أكدت لكل الأطراف "موقفها الثابت والقائم على عدم فتح معبر رفح طالما بقيت السيطرة الإسرائيلية على الجانب الفلسطيني منه".

وأضاف المصدر أن مصر "حمّلت الجانب الإسرائيلي مسؤولية النتائج عن هذا الإغلاق وتفاقم الأوضاع الإنسانية بقطاع غزة".

هل تعيد الهدنة البسمة لأطفال غزة

كما أوضح أن هناك جهودا مصرية مكثفة للعودة إلى مفاوضات الهدنة بقطاع غزة، في ضوء الطرح الأميركي الأخير.

وستشهد المرحلة الثانية إطلاق سراح جميع الرهائن المتبقين على قيد الحياة بمن في ذلك الجنود الذكور، بينما ستنسحب القوات الإسرائيلية من غزة، وفقا لما قاله بايدن.

وأضاف "وطالما أوفت حماس بالتزاماتها، فإن وقف إطلاق النار المؤقت سيصبح - على حد تعبير الاقتراح الإسرائيلي - وقفا للأعمال القتالية بشكل دائم".

وفي المرحلة الثالثة، قال بايدن "إن خطة إعادة الإعمار الكبرى في غزة ستبدأ وسيتم إعادة أيّ رفات للرهائن الذين قتلوا إلى عائلاتهم".

وأوضح بايدن أن إسرائيل دمرت قوات حماس على مدى الأشهر الثمانية الماضية"، مضيفا "في هذه المرحلة، لم تعد حماس قادرة على تنفيذ هجوم آخر مثل هجوم السابع من أكتوبر"، في مسعى لتشجيع إسرائيل على الموافقة.

وقال بايدن إن الدول العربية والمجتمع الدولي سيشاركان أيضا في صفقة إعادة إعمار غزة "بطريقة لا تسمح لحماس بإعادة التسلح".

10 مليارات دولار لاختبار جدية المستثمرين الغربيين في أرامكو

الرياض - تبدأ السعودية صباح الأحد تلقي طلبات شراء لأسهم قد لا تتجاوز 10 مليارات دولار في شركة النفط العملاقة أرامكو، في اختبار كبير لمدى جدية المستثمرين الغربيين بالسوق السعودية.

وحجم الأسهم الذي تطمح إليه المملكة بسيط قياسا بالاستثمارات المرصودة للشركة. ومرد هذا السقف المحدود أن الغربيين يتعاملون مع أرامكو بشكل مختلف باعتبارها شركة نفط "سيادية" تخضع لسياسات السعودية النفطية وتوجهات قيادتها أكثر منها شركة صناعية هدفها الربح كأولوية.

وتعزى مخاوف المستثمرين الغربيين بالأساس إلى أن السعودية يمكن أن تجعل من سياسة أرامكو ورقة ضغط سياسية أو تجارية مثلما حصل في قرار خفض الإنتاج لاعتبارات خاصة بالمملكة، لكنها تتنافى مع منطق حرية السوق وفكرة الأرباح التي قد تجذب بعض المستثمرين لشراء أسهم.

وفي إعلان طال انتظاره، كشفت المملكة وأرامكو الخميس تفاصيل خطط لبيع ما يصل إلى 0.7 في المئة من أسهم شركة النفط التي تسيطر عليها الدولة، مع تخصيص 10 في المئة من الطرح للمستثمرين الأفراد، بناء على الطلب.

وسيستمر تلقي الطلبات حتى السادس من يونيو على أن يجري تحديد سعر الصفقة في اليوم التالي.

والطرح الذي يحمل الاسم الرمزي "بروجكت بوند"، تأجل لعدة أشهر ويعد خطوة رئيسية في تنويع قاعدة مستثمري الشركة منذ طرحها العام الأولي القياسي عام 2019، بالإضافة إلى قدرته على تعزيز برنامج المملكة الضخم للتنويع الاقتصادي.

كما يمثل اختبارا لمدى الاهتمام بالأسواق السعودية بعد إقبال فاتر من المستثمرين الدوليين على الطرح الأولي عام 2019 وسط مخاوف بشأن التقييم المرتفع وسيطرة الحكومة السعودية وتحول قطاع الطاقة بعيدا عن الهيدروكربونات.

كما أبدى المستثمرون الدوليون تحفظا مماثلا حيال المشاريع الضخمة في المملكة، من المنتجعات الشاطئية إلى المدن الجديدة.

وسيتعين على المستثمرين الذين يشترون في أرامكو الموازنة بين المخاوف البيئية وعوائدها السخية.

وقال حسنين مالك رئيس أبحاث الأسهم لدى تيليمر ومقرها دبي "منذ الطرح العام الأولي، طغت التوقعات المرتفعة بشأن توزيعات الأرباح وأسعار النفط على انخفاض التوقعات بشأن الإنتاج".

وأضاف "قد لا يكون هذا التحسن في التدفقات النقدية المتاحة للمساهمين كافيا لإغراء المستثمرين الأجانب الذين لم يشاركوا في الطرح العام الأولي بسبب المخاوف البيئية المتعلقة بالوقود الأحفوري أو مخاوف الحوكمة المتعلقة بأولويات المساهم السيادي المهيمن".

ويقول المحلل الاقتصادي سايمون واتكينز إن المستثمرين الغربيين قلقون من أن عائدات أرامكو تُعتمد لبعث مجموعة متنوعة من المشاريع الأخرى غير الهيدروكربونية التي حلم بها ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، مشيرا إلى تمويل العديد من المشاريع الاجتماعية والاقتصادية، مثل تأسيس جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست).

> الغربيون يتعاملون مع أرامكو باعتبارها شركة «سيادية» تخضع لسياسات السعودية أكثر منها شركة هدفها الربح

واعتبر واتكينز في مقال سابق على موقع أويل برايس الأميركي أن المخاوف السيادية الأوسع بشأن المملكة قادت إلى تعزيز مخاطر الاكتتاب العام لشركة أرامكو.

وضخ ولي العهد السعودي مئات المليارات من الدولارات عبر صندوق الاستثمارات العامة السعودي، وهو الصندوق السيادي للمملكة، في مشاريع ضخمة شملت عدة قطاعات منها السيارات الكهربائية والرياضة فضلا عن إطلاق شركة طيران جديدة، وذلك في سعي لخلق فرص العمل وتنويع الاقتصاد وتقليل الاعتماد على إيرادات النفط.

وقال جيم كرين زميل الأبحاث في معهد بيكر بجامعة رايس في هيوستن إن بيع أسهم في أرامكو "ليس الطريقة الوحيدة لتمويل رؤية 2030، لكنه أحد الخيارات السهلة حاليا بعدما اتضح أن المستثمرين الأجانب غير مهتمين بشراء حصص في مشاريع سعودية عملاقة".

الحكومة المصرية تشتري صمت البسطاء بمساعدات مالية

القاهرة - تحركت الحكومة المصرية سريعا لترضية البسطاء بالإعلان عن مضاعفة المساعدات المالية، بعد قرارات تشمل تخفيف دعم الخبز، ورفع الدعم عن الكهرباء والمواد البترولية، وإلغاء بطاقات التموين التي تمكّن أصحابها من صرف حصص من المواد الأساسية بأسعار رمزية واستبدالها بدعم نقدي.

وتسير الحكومة في طريق شراء صمت الفقراء بموجب الإعلان عن زيادة قيمة المساعدات المالية التي يحصلون عليها ضمن برنامج "تكافل وكرامة" ويستفيد منه أكثر من خمسة ملايين أسرة، يمثلون نحو 20 مليون مواطن يندرجون تحت خط الفقر، وتطبق عليهم شروط الدعم النقدي، مع فتح الباب لتلقي طلبات أخرى من بسطاء تنطبق عليهم المعايير التي حددتها الحكومة.

وأعلنت وزيرة التضامن الاجتماعي نيفين القباج عن وجود خطة لمضاعفة مستحقات "تكافل وكرامة" لتوسيع دائرة الحماية الاجتماعية، وأن الحكومة بصدد تفعيل مرحلة لقبول مستفيدين جدد، على أن يتم إعفاء أبناء البسطاء المدرجين ضمن برنامج الدعم النقدي من كامل المصروفات الدراسية طوال فترة المراحل التعليمية.

وتستهدف الحكومة من زيادة مخصصات برامج الحماية الاجتماعية امتصاص غضب البسطاء في ظل شعورهم بالعجز عن توفير الحد الأدنى من المستوى المعيشي اللائق، وعدم القدرة على توفير احتياجاتهم الأساسية أمام توجه الدولة نحو الانسحاب كليا من الدعم وما يترتب عليه من انفلات في الأسعار تفوق قدراتهم على التحمل.

وبدت مضاعفة المساعدات المالية لمحدودي الدخل محاولة لتعزيز شرعية النظام المصري في نظر شريحة كبيرة في المجتمع، وعدم إثارة منغصات سياسية بالتزامن مع اقتراب إلغاء الدعم، ورفض تفتيت الكتلة الشعبية الأكثر تمسكا بالأمن والاستقرار، ويعوّل عليها في مواجهة التحديات الصعبة.

وتُدرك الحكومة تبعات الانسحاب تماما من دعم الخدمات والسلع الأساسية، ما يتطلب التضحية بمخصصات مالية للفقراء، لأن عكس ذلك قد يسبب تصدعات سياسية وتوترات في الشارع، لأن هذه الشريحة ليس لديها ما تخسره ماديا.

وقال إكرام بدرالدين رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة إن تحصين محدودي الدخل من تداعيات القرارات الاقتصادية ضمانة للاستقرار، فتلك الشريحة تعوّدت على الدعم، والمساعدات المالية المقدمة إليهم تمت بتوجيه من الرئيس عبدالفتاح السيسي، ومن الضروري استمرارها لتجنب خسارة مكاسب تحققت من هذا الإجراء.

وأضاف لـ"العرب" أن هناك أهمية سياسية لتقديم مساعدات مالية لمحدودي الدخل مهما كانت الصعوبات الاقتصادية، فهذا المسار يقطع الطريق على التيارات المناوئة للمتاجرة بالبسطاء.

> الحكومة تستهدف امتصاص غضب البسطاء في ظل شعورهم بالعجز عن توفير الحد الأدنى من المستوى المعيشي

ونجح الرئيس السيسي في تكوين قاعدة شعبية لدى شريحة مجتمعية تتشكل من البسطاء، واعتاد توجيه خطابات استثنائية إليهم، ويصرّ على حمايتهم من دوامة الفقر والغلاء عبر مساعدات مادية شهرية، وأصبح في نظرهم القائد الذي تدخل لإنقاذهم من الجوع والعوز وحمايتهم من مضاعفة الحكومة للأعباء الواقعة عليهم.

وتبدو خطة ترشيد الدعم مطلوبة، لكن التعامل مع البسطاء له حسابات دقيقة، لأنهم اعتادوا على الدور المجتمعي للحكومة، وعندما تخلت الدولة عن هذا الدور في عهد أنظمة سابقة، تسللت جماعات الإسلام السياسي، مثل الإخوان والسلفيين، لتعويض غيابها.

وجزء من خطة زيادة المساعدات المالية للشريحة المتضررة من إلغاء الدعم أن النظام لا يرغب في توظيف تلك الفئة ضده من جانب خصومه السياسيين، وهو ما دفع الحكومة وهي في ذروة أزمتها الاقتصادية لتحصين الفقراء من تبعات الإجراءات المرتقبة، مهما كانت الخسائر المالية، لأن المنغصات السياسية قد تكون أشد.

وتدرك الحكومة أن الفقراء الذين طال صبرهم على ظروفهم المعيشية الصعبة منذ بدء الأزمة الاقتصادية لن يتحملوا صدمة كبرى مثل إلغاء الدعم، وإن كانوا استقبلوا الغلاء في سنوات مضت باحتجاج صامت، لكنهم مع الإجراءات المرتقبة قد يشكلون بؤرة توتر سياسية.

ليبيا 1 دينار - السعودية 2 ريال - مصر 3 جنيه مصري - موريتانيا 120 أوقية - تونس 900 مليم - المغرب 3 دراهم - الجزائر 7 دينارات - البحرين 200 فلس - اليمن 50 ريالا - الكويت 150 فلسا - الإمارات 2 درهم - عمان 200 بيزا - قطر 2 ريال - العراق 2000 دينار - الأردن 500 فلس - سوريا 150 ليرة - السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

تباين في تقييم أداء البرلمان التونسي بعد مرور سنة على تأسيسه

النائب ياسين مامي: أداء أعضاء البرلمان فنّد جميع التّوقعات

طرح أداء البرلمان التونسي بعد مرور سنة على تأسيسه تساؤلات عديدة في علاقة بدوره الرقابي على الحكومة ودوره التشريعي، فضلا على علاقته بالسلطة التنفيذية، وسط اختلاف المراقبين بشأن تلك الحصيلة التي اعتبرها البعض مقبولة، فيما رآها آخرون أنها غير إيجابية.

خالد هدوي

تونس - تباينت الآراء في تونس بشأن تقييم أداء عمل مجلس نواب الشعب (الغرفة التشريعية الأولى) بعد مرور أكثر من سنة على تأسيسيه، بين من يعتبر أنه تمكّن من مناقشة وتمرير بعض القوانين التي تهم التونسيين، ومن يعتبر أنه لم ينجح في تحقيق المهام الموكولة إليه، ومن ضمنها تقييم أداء الحكومة والمصادقة على القوانين.

وتم انتخابات أعضاء البرلمان في اقتراع اتسم بعزوف كبير، حيث لم يشارك فيه سوى 11.2 في المئة من الناخبين، ليخلف بذلك البرلمان السابق الذي حلّه الرئيس قيس سعيد قبل أن يدعو إلى استفتاء على دستور جديد للبلاد.

وتقول أوساط سياسية وحقوقية، إنه على الرغم من صعوبة التقييم خصوصا بعد مرور سنة على تأسيس المجلس، فإن هناك بعض المؤشرات الإيجابية في علاقة بنشاط النواب، أولها تقديم بعض المقترحات القانونية والمصادقة على بعض التشريعات، فضلا عن التفاعل الإيجابي مع الحكومة التي يقودها أحمد الحشاني.

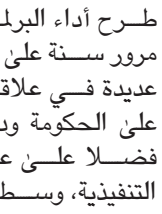

باسل الترجمان

البرلمان حاول تمرير بعض القوانين وتفاعل مع الحكومة

نجاة الزموري

لم نر تقييما عميقا وموضوعيا لأداء الحكومة من البرلمان

وقال النائب بمجلس نواب الشعب ياسين مامي، الجمعة، إن "أداء أعضاء المجلس فنّد جميع التوقعات المسبقة لمحاولة ترذيل عمل البرلمان والتهكم على النواب حتى قبل التعرف عليهم".

وأضاف في تصريح لإذاعة محلية أن "الأداء داخل البرلمان كشف وجود تنوع في صفوف النواب وما يحدث اليوم أكبر دليل على ذلك"، لافتا "نحن لا نتعامل مع الحكومة بمنطق المعارضة والموالاة.. ونتعامل معها وفق منطق العمل، ونرى اليوم أن هذه الحكومة لا تعمل على مستوى مشاريع القوانين والتشريعات".

كما تحدث عن عمليات التصويت داخل البرلمان، مؤكدا أنها أكبر دليل على وجود اختلاف في الآراء بين رافض ومؤيد أو محتفظ.

كما أكد ياسين مامي أنه سبق أن طالب رفقة عدد من النواب بضرورة البث المباشر لأشغال اللجان داخل البرلمان وكشف تفاصيل التصويت على أيّ مشروع للمواطنين لأنه من حقهم الاطلاع على ذلك.

وتطرق إلى المرسوم 54، قائلا إنه "صدر في فترة استثنائية اتسمت بالثلب وهتك الأعراض إضافة إلى وجود فراغ تشريعي، واليوم هناك الدستور الذي يكفل الحقوق والحريات وهو ما يدفعنا إلى ضرورة النقاش حول هذا المشروع".

وتقول شخصيات سياسية، لئن استغرق المجلس وقتا طويلا في إعداد نظامه الداخلي الجديد قبل الدخول في عطلة برلمانية، كما أنه كان أفضل من مجلس 2014، خاصة من ناحية تمرير القوانين وتقديم المبادرات التشريعية.

وأفاد الكاتب والمحلل السياسي باسل الترجمان أن "أداء البرلمان لم يكن مميزا ولم ينجح في استعادة ثقة الشارع التونسي، لكنه حاول تمرير بعض القوانين والمبادرات مثل مناقشة القانون 411 المتعلق بعقوبة الصك دون رصيد، ونجح أيضا في التفاعل مع الحكومة والمشاركة في مقترحات تعديل الميزانية".

واستطرد باسل ترجمان "من الصعب تقييم عمل البرلمان بعد سنة على تأسيسه، ولكن علينا أن ننتظر على الأقل دورتين إضافيتين حتى نحكم على العمل الذي قدمه".

في المقابل، يرى متابعون، أنه على عكس البرلمانات السابقة، بدا واضحا أن نسبة كبيرة من أعضاء المجلس الحالي تفتقد إلى أبسط مقومات النشاط البرلماني وخصوصا لا تملك سجلاً سياسيا وأكاديميا كبيرا يمكّنها من إدارة نشاطها في أفضل الظروف.

وقالت نجاة الزموري، نائبة رئيس الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، إن "التقييم الموضوعي للأداء يتم بناء على مؤشرات علمية، ذلك أن البرلمان لم ينجح في تحقيق المهام الموكولة إليه، وهي تقييم أداء الحكومة والمصادقة على القوانين".

وأضافت لـ"العرب"، "لم نر تقييما عميقا وموضوعيا لأداء الحكومة من قبل البرلمان، ولا يوجد تقييم مبني على معطيات واضحة وصحيحة، ذلك أن بعض الوزارات يكاد يكون أداؤها مفقودا، والبعض منها لم يجرؤ على فتح ملفات الفساد".

ولفتت الزموري إلى أنه "كانت هناك وعود بعد إجراءات 25 يوليو 2021 حول تقديم قوانين جديدة وتنقيح أخرى مثل المرسوم 54 والقانون المنظم للجمعيات، وبعض النواب يفتقرون إلى الحدّ الأدنى من الدراية السياسية والإلمام بالإطار التشريعي والتاريخي للبلاد".

وسبق أن اعتبرت منظمة "أنا يقظ" أن "مجلس نواب الشعب الحالي يريد عن وعي أن يبقى تحت ظلّ الوظيفة التنفيذية، كما لم يصادق طيلة سنة كاملة إلاّ على مشاريع قوانين رئاسة الجمهورية بنسبة 97 في المئة أي بطريقة شبه آلية".

وأوضحت المنظمة أن "حصيلة القوانين التي صادق عليها المجلس الحالي خلال هذه السّنة هي الأضعف مقارنة بمجلسي نواب الشعب لسنة 2014 و2019 بتراجع يقدّر بحوالي عشرة قوانين".

وفي عامه الأول، عقد مجلس نواب الشعب 15 جلسة عامّة خُصّصت لنقاش نظامه الداخلي وتركيز هياكله النيابية في حيّز زمني استغرق من الوقت شهرين كاملين.

وتميّزت أجواء البرلمان التونسي في سنته الأولى بتعدّد طلبات رفع الحصانة عن عدد من أعضائه حيث عقد المجلس جلسات عامة للنظر والتصويت على طلبات رفع الحصانة شملت 7 نواب، كانت قد تقدّمت بها جهات قضائية ورفض نواب الشعب جلّها.

وتثير الحصانة البرلمانية نقاشا وجدلا بتونس بين من يشددون على أنها حق دستوري وضمانة ظرفية لحماية النواب أثناء أدائهم لمهامهم، وبين من يرون أن البعض يستغلونها للإفلات من المساءلة والمتابعة القضائية.

برلمان مختلف عن سابقيه

اليابان تسعى لتوطيد شراكتها الاقتصادية مع المغرب

محمد ماموني العلوي

طوكيو - وقع المغرب واليابان الجمعة مذكرة تحدد أولويات التعاون المستقبلي بين البلدين، بما يشمل قطاعات التجارة والاقتصاد والبحث العلمي.

ومثلت الرباط نموذجا يحتذى به في مجال التعاون الدولي لما تملكه من قدرات وكفاءات كبيرة على المستوى القاري ما جعلها محط اهتمام العديد من القوى الاقتصادية العالمية مثل اليابان، فيما شددت طوكيو على دعم مبادرة الحكم الذاتي للمغرب في تسوية النزاع المفتعل في الصحراء المغربية.

ووفق بيان لوزارة الخارجية المغربية وقّع المذكرة وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة ونظيرته اليابانية يوكو كاميكا، عقب مباحثات عقداها في طوكيو.

وأوضح البيان أن المذكرة تهدف إلى "تقوية الشراكة بين المغرب واليابان"، و"تحدد المحاور الرئيسية للتعاون المستقبلي بينهما".

وأضاف أن المذكرة حددت "محاور تعاون ذات أولوية، لاسيما في المجالات الاقتصادية والتجارية والغذائية والبحرية والثقافية والبحث العلمي والتقني والفضائي، وكذلك في مجالات مكافحة تأثيرات التغيرات المناخية وتدبير الموارد المائية".

ونصت المذكرة، وفق البيان ذاته، على "الانعقاد المنتظم للجان مختلطة من البلدين تجمع مشاركين من كافة القطاعات المعنية، فضلا عن اجتماعات تنسيقية بين السلطات المغربية المختصة وممثلي الوكالة اليابانية للتعاون الدولي والمنظمة اليابانية للتجارة الخارجية".

وتطرق الجانبان للتنسيق السياسي الجيد القائم بين البلدين مع تشبث المملكة المغربية بقضية الوحدة الترابية الوطنية، حيث ثمن المغرب في أكثر من مناسبة موقف اليابان الثابت بخصوص القضية الوطنية وعدم اعتراف اليابان ببوليساريو، واستمرارها في دعم جهود الأمم المتحدة لإيجاد حل سلمي لهذه القضية.

من جانبه، نوه بوريطة بهذا الموقف الذي عبرت عنه اليابان بخصوص قضية الصحراء المغربية.

وفي ظل إجماع دولي على أهمية المقترح المغربي لحل نزاع الصحراء المغربية، جدد البلدان التأكيد، في هذه الوثيقة، على التزامهما بالعمل سويا من أجل الحفاظ على السلم والنظام الدولي، القائم على مبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة، وكذلك على مبادئ احترام السيادة الوطنية والوحدة الترابية.

وحمل هيداكي كوراميتسو، سفير الإمبراطورية اليابانية بالرباط، رسالة موجهة إلى العاهل المغربي الملك محمد السادس بمناسبة الذكرى الـ24 لعيد العرش، في أغسطس الماضي، تعلن فيها طوكيو أن اقتراح الرباط الحكم الذاتي في الصحراء المغربية "واقعي وجدي" وتعتبر الجهود المغربية لحل النزاع المفتعل "جادة وذات مصداقية".

واعتبر هشام معتضد الخبير في العلاقات الدولية والإستراتيجية أن "التفاهمات بين المغرب واليابان بخصوص الملفات المهمة التي ركز عليها ناصر بوريطة بمثابة خطوة رسمية مُوَثّقة دبلوماسيا تجسد رغبة اليابان في بناء آثار دبلوماسية واقتصادية واستثمارية ملموسة مع المملكة وارتباطها الوثيق بملف الصحراء المغربية، والتي يمكن اعتبارها تحولا جوهريا في خطاب اليابان السياسي بخصوص التحولات التي يعرفها ملف الصحراء السيادي".

وشدد في تصريح لـ"العرب" على أن "صوت اليابان الدبلوماسي والسياسي وتموقعها الجيوسياسي، بالإضافة إلى ديناميكيتها السياسية على مستوى خارطتها الإقليمية والدولية، خاصة في المنظمات الدولية، يعتبر عاملا مهما، وإضافة نوعية وحيوية للديناميكية التي يديرها المغرب بخصوص ملفاته الإستراتيجية وعلى رأسها سيادته على صحرائه".

ويعتبر المغرب، مستوى الشراكة الاقتصادية بين البلدين، منصة لتطوير استثمارات اليابان في أفريقيا، حيث تستقر حوالي 70 شركة يابانية بالمغرب تنشط في مختلف القطاعات الاقتصادية وتعزز ديناميكية التبادل بين البلدين، مما مكن من خلق نحو 40 ألف منصب شغل.

هشام معتضد

اليابان ترغب في بناء آثار دبلوماسية ملموسة مع المغرب

وقالت وزيرة الشؤون الخارجية اليابانية، خلال لقاء صحفي، إن "المغرب، باعتباره بوابة نحو السوق الأفريقية وحلقة وصل بين أوروبا وأفريقيا، يزخر بمؤهلات كبيرة في العديد من المجالات، لاسيما في قطاعي الاستثمار والأعمال، والمملكة عملت خلال السنوات الأخيرة على جذب الاستثمارات".

وقدم ناصر بوريطة المشاريع المهيكلة ذات الأثر القوي على الواجهة الأطلسية، لاسيما تلك الجاري تنفيذها في الأقاليم الجنوبية، على غرار ميناء الداخلة الأطلسي، الذي سيؤمن الربط الحدودي مع بلدان أفريقيا جنوب الصحراء.

من جانبه، أشاد وزير الاقتصاد والتجارة والصناعة الياباني سيتو كين بالإصلاحات الاقتصادية التي نهجها الملك محمد السادس، والتي مكنت المملكة المغربية من التموقع كبلد رائد في أفريقيا في مجالات صناعة السيارات والطيران والنسيج، والثاني في قطاعات الصيدلة وترحيل الخدمات.

مجلس الأمن يمدد مهمة تفتيش السفن قبالة سواحل ليبيا عاما إضافيا

نيويورك - مدد مجلس الأمن الدولي عاما إضافيا الإذن بتفتيش السفن التي تثير شبهات معقولة بانتهاك حظر الأسلحة في المياه الدولية قبالة سواحل ليبيا أو ما يعرف بعملية "إيريني"، في وقت تتصاعد فيه المخاوف من عودة البلاد إلى مربع العنف مع تقارير عن تصاعد النفوذ الروسي في البلاد.

وذكرت وسائل الإعلام أن التصويت على القرار جرى الجمعة، وأيده 9 أعضاء فيما امتنع الـ6 المتبقون عن التصويت.

وتهدف العملية، التي تم إطلاقها أصلا لمراقبة الحظر المفروض من الأمم المتحدة على توريد الأسلحة إلى ليبيا، إلى منع وصول الأسلحة للأطراف المتنازعة وتعزيز الاستقرار في المنطقة.

ويمنح القرار الدول الأعضاء أو منظمات إقليمية صلاحية لتفتيش السفن في أعالي البحار المتجهة إلى ليبيا أو القادمة منها في حال توفر أسباب معقولة للاعتقاد بأنها تنتهك قرار حظر الأسلحة الذي يفرضه مجلس الأمن على البلاد.

ويُشترط على الدول الأعضاء والمنظمات الإقليمية المعنية أن تسعى بحسن نية أولا إلى الحصول على موافقة الدولة التي ترفع السفينة علمها قبل القيام بأيّ عمليات تفتيش.

وتجرى عمليات التفتيش حاليًا بواسطة عملية "إيريني" التابعة للاتحاد الأوروبي.

ويتخوف الغرب من نشاط متزايد لروسيا وقوات فاغنر المرتبطة بها حيث أشارت وسائل إعلام أوروبية عن تواجد لقوات فاغنر ومقاتلات روسية في جزيرة جربة التونسية القريبة من ليبيا لكن السلطات التونسية نفت ذلك نفيا قاطعا.

والجمعة، أعلنت بعثة روسيا لدى الأمم المتحدة، امتناعها عن التصويت على مشروع قرار مجلس الأمن، لتمديد مهمة عملية "إيريني" الأوروبية المكلفة بتفتيش السفن قبالة سواحل ليبيا.

وامتنعت روسيا عن التصويت على مشروع قرار مجلس الأمن الذي قدم من قبل فرنسا ومالطا لتمديد مهمة عملية "إيريني"، والتي يشتبه أنها تنتهك حظر الأسلحة المفروض، حيث ينتهي التفويض الحالي في 2 يونيو الجاري.

وكان السفير الروسي لدى الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا ندد في سنة 2022 بـ"القبضة الخانقة التي يفرضها الاتحاد الأوروبي على نظام تفتيش السفن".

وفي 14 يونيو 2017 فرض مجلس الأمن بالإجماع قرارا يجيز "تفتيش السفن في عرض البحر قبالة سواحل ليبيا بالقوة".

وفي مارس 2011 أصدر مجلس الأمن الدولي قراره رقم 1970 وطلب فيه من جميع الدول الأعضاء بالأمم المتحدة "منع بيع أو توريد الأسلحة وما يتصل بها من أعتدة إلى ليبيا ويشمل ذلك الأسلحة والذخيرة والمركبات والمعدات العسكرية والمعدات شبه العسكرية وقطع الغيار".

وفي 31 مارس 2020 أطلق الاتحاد الأوروبي عملية "إيريني"، لفرض حظر على توريد الأسلحة إلى ليبيا، ويقع نطاقها في البحر الأبيض المتوسط.

وأثارت العملية جدلا وانتقادات بشأنها باعتبارها "منحازة وغير قانونية".

ويرى مراقبون أن عملية "إيريني"، رغم أهدافها المعلنة لتعزيز السلام والاستقرار في ليبيا عبر تطبيق حظر الأسلحة، تواجه انتقادات وتحديات تشكل جانبها السلبي، حيث ينظر بعض الأطراف إلى العملية على أنها تنتهك السيادة الليبية من خلال التدخل في شؤونها الداخلية دون موافقة كافة الأطراف المعنية داخل البلاد.

> في 31 مارس من العام 2020 أطلق الاتحاد الأوروبي عملية «إيريني» لفرض حظر على توريد الأسلحة إلى ليبيا

وهناك ادعاءات بأن العملية قد تكون متحيزة في تطبيقها للحظر، حيث تركز على بعض الجهات على حساب أخرى، مما يؤدي إلى عدم التوازن في القوى الميدانية داخل ليبيا ويفاقم الصراع بدلا من تقليله.

ويضيف المتابعون بأن العملية قد تؤثر أيضا على الجانب الإنساني بالسلب، حيث قد تعيق وصول المساعدات أو البضائع الأساسية التي يمكن أن تستخدم في دعم الحياة اليومية للمواطنين الليبيين، فضلا عن التدخلات الخارجية المستمرة في ليبيا، بما في ذلك عملية "إيريني"، التي تثير قضايا حول النفوذ الأجنبي وتوازن القوى، مما قد يعرقل جهود الحل السياسي الشامل ويعمق الانقسامات المحلية.

ولا تزال ليبيا تعيش ظروفا صعبة نتيجة تردي الأوضاع الأمنية والصراع على السلطة إثر ثورة شعبية في 17 فبراير 2011، أطاحت بالزعيم الراحل معمر القذافي.

وعرفت البلاد تدخلات أجنبية ساهمت في تردي الأوضاع الأمنية خاصة تركيا التي أرسلت في 2019 أسلحة ومرتزقة خلال الحرب بين الجيش الوطني الليبي وحكومة الوفاق.

وكانت البعثة الأممية إلى ليبيا أكدت مرارا بأنه لا يمكن إعادة الاستقرار في ليبيا دون مواجهة التدخلات الأجنبية ومنع دخول السلاح لأطراف النزاع وطالبت بضرورة حل الميليشيات.

وشهدت المنطقة الغربية خلال السنة الحالية العديد من التوترات الأمنية.

مهمة «إيريني» لم تمنع انتشار السلاح في ليبيا

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

هل يغطي انسحاب البعثة الأممية على أزمات العراق

إنهاء عمل يونامي يضفي شرعية على سلطة الميليشيات

الطبقة السياسية الحاكمة في العراق نجحت في الحصول على موقف واضح من البعثة الأممية بالانسحاب في موعد واضح، وهي تعتقد أن هذا مؤشر على استقرار البلاد. لكن البعثة لم تحقق الكثير مما تحدثت عنه كمبرر لوجودها من مثل إقامة المصالحة وإصلاح قوات الأمن.

انسحاب في غير وقته

نيويورك - قرّر مجلس الأمن الدولي بالإجماع الجمعة، بناءً على طلب بغداد، أن يسحب من العراق بحلول نهاية 2025 البعثة الأممية (يونامي) الموجودة في هذا البلد منذ أكثر من 20 عاما. وفيما تقول بغداد إن هذه الخطوة هي اعتراف أممي باستقرار العراق، فإن مراقبين يرون أن هذا الانسحاب قد يضفي مشروعية على سلطة الميليشيات وعلى الفساد.

ويرسل الاستعجال بسحب البعثة في ظل الوضع الحالي بأن الأمم المتحدة لا تعنيها مطالب العراقيين الذين يشتكون من سيطرة الميليشيات على حياتهم العامة أمنيا، وخاصة تحكّمها في مفاصل الدولة ووقوفها بشكل مباشر وراء تضخم الفساد في البلاد، وهو ما لم تسلم منه البعثة نفسها، التي تثار شكوك حول استفادتها من الفساد.

وفي شهر فبراير الماضي، أعلنت هيئة النزاهة في بيان أنّ فريقا تابعا لها شرع في التحقيق بمعلومات أوردها تقرير لصحيفة الغارديان البريطانية بشأن تلقي تابعين لـ"يونامي" لرشى.

> هل يرتبط سحب البعثة بتهم الفساد الموجهة لبعض عناصرها أم يأس من التغيير في العراق بوجود الطبقة السياسية

وأشارت المعلومات الواردة في التقرير إلى أن موظفي البعثة الأممية تقاضوا رشى من مقاولين عراقيين ضمن مشاريع صندوق إعادة إعمار المناطق المستعادة من تنظيم داعش.

وقال البيان إنّ فريق النزاهة تواصل مع محررة التحقيق للحصول على دلائل بشأن المعلومات التي استندت إليها في اتّهامها لموظفي الأمم المتحدة العاملين في العراق.

ويترافق تحقيق الهيئة العراقية مع تحقيق موازٍ شرعت فرق الأمم المتحدة في إجرائه انطلاقا من مقر المنظّمة في نيويورك.

ولا يعرف إن كان استعجال سحب البعثة على صلة بهذا البحث أم أنه يأس من فرص التغيير في العراق في ظل طبقة سياسية يصعب تطوير أدائها ولا تسمح بتحسين واقع العراقيين إذا لم يتماش مع مصالحها.

والبعثة التي تمّ تعزيزها في 2007 وتجديدها سنويا تضمّنت مهمّتها دعم الحكومة لإجراء حوار سياسي شامل ومصالحة وطنية وتنظيم الانتخابات وإصلاح قطاع الأمن.

وفي كتاب أرسله إلى مجلس الأمن الدولي مطلع مايو الماضي، تحدّث رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني عن "تطورات إيجابية ونجاحات"، طالباً أن يتمّ بحلول 31 ديسمبر 2025 إنهاء مهمة بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) الموجودة في بلاده منذ 2003.

وأشار إلى أنّه في هذه الظروف و"بعد 20 عاماً من التحوّل الديمقراطي والتغلّب على التحدّيات المختلفة، لم تعد أسباب وجود بعثة سياسية في العراق قائمة".

وخلال لقائه الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في العراق جينين بلاسخارت، أوضح السوداني أنّ "الطلب بإنهاء عمل بعثة يونامي يأتي بناء على ما يشهده العراق من استقرار سياسي وأمني، وما حقّقه من تقدّم في مجالات عدّة".

وفي حين أنّ بعثات الأمم المتحدة تحتاج إلى موافقة الدولة المضيفة، فإنّ القرار الذي اعتمده مجلس الأمن الجمعة أخذ علماً بهذا الطلب و"قرّر تمديد ولاية بعثة الأمم المتحدة لفترة أخيرة مدّتها 19 شهراً تنتهي في 31 ديسمبر 2025"، وبعد هذا التاريخ "ستوقف عملها وعملياتها".

وخلال تجديد الولاية السابقة في مايو 2023، طلب المجلس من الأمين العام إطلاق مراجعة إستراتيجية للمهمة وعهد بها للدبلوماسي الألماني فولكر بيرثيس.

وفي خلاصاته التي نشرت في مارس، اعتبر بيرثيس أنّ البعثة التي كان عديدها في نهاية 2023 يزيد عن 700 شخص تبدو "كبيرة في شكلها الحالي".

ودعا الدبلوماسي الألماني إلى نقل مهام البعثة إلى السلطات الوطنية المختصة وكيانات الأمم المتحدة الأخرى الموجودة على الأرض "بطريقة مسؤولة ومنظمة وتدريجية"، مشيراً إلى فترة عامين.

وبعدما أخذ علماً بهذا التصويت، شكر فرهاد علاءالدين، مستشار رئيس الوزراء العراقي، بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق "على عملها على مدى عقدين من الزمن".

وفي بغداد، قالت الحكومة العراقية في بيان إنّها "تعرب عن ترحيبها وتقديرها لقرار مجلس الأمن الذي جاء نتيجة التقدّم الملموس الذي يشهده العراق على الأصعدة المختلفة، والاستقرار على المستوى الداخلي، واستكمال عملية البناء السياسي".

وأضاف البيان "ننتهز هذه الفرصة للتأكيد على استمرار التعاون والشراكة المستدامة مع منظمة الأمم المتحدة وبرامجها التنموية العاملة في العراق".

وأكد المستشار السياسي لرئيس مجلس الوزراء العراقي فادي الشمري، السبت، أن العراق حقق إنجازا تاريخيا في إنهاء بعثة الأمم المتحدة (يونامي) من خلال تصويت مجلس الأمن الدولي.

ونقلت وكالة الأنباء العراقية (واع) عن الشمري قوله إن "هذا القرار يأتي بفضل الجهود الحثيثة والرؤية الإستراتيجية للحكومة العراقية، التي سعت جاهدة لتحقيق السيادة الوطنية وتعزيز الاستقلالية للعراق".

وأشار الشمري إلى أنه "من خلال هذا الإنجاز التاريخي، يؤكد العراق مرة أخرى على قدرته على تحقيق النجاح وتحمل المسؤولية، وأن حكومتنا تعمل بجدية وجهود مكثفة لتحقيق مستقبل واعد يستند إلى رؤية تنموية وعمرانية شاملة".

والجمعة، قال روبرت وود، نائب السفيرة الأميركية لدى الأمم المتحدة الذي صاغ هذا القرار "نحن جميعاً ندرك أنّ العراق تغيّر بشكل كبير في السنوات الأخيرة، وكانت هناك حاجة إلى إعادة تنظيم بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق، بما يتفق مع التزامنا بتعزيز عراق آمن ومستقر وذي سيادة".

وأضاف "نحن، أعضاء المجلس، سنواصل مراقبة التقدّم المحرز"، وذلك بعد أن بدت الولايات المتّحدة في بادئ الأمر أكثر مراوغة بشأن طلب بغداد.

وتابع الدبلوماسي الأميركي "نحن مقتنعون بأنه خلال السنوات العشرين التي تلت إنشاءها، بذلت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) كامل إمكاناتها لدعم استعادة الدولة العراقية، وأنّ الشعب العراقي مستعدّ اليوم لتحمّل المسؤولية الكاملة عن المستقبل السياسي للبلاد".

من جهتها، أبدت نائبة السفير الروسي لدى الأمم المتّحدة آنا إيفستينييفا معارضة بلادها "أيّ تدخّل في الشؤون الداخلية للبلاد".

وخلال الفترة الممتدّة من صدور القرار وحتى نهاية 2025، قرّر المجلس "تبسيط" البعثة، لكن في الوقت نفسه سيظلّ بمقدورها مواصلة مهامها في ما يتعلق بتقديم المشورة والمساعدة الفنية للتحضير للانتخابات، وتيسير العمل الإنساني، وحماية حقوق الإنسان، وحلّ الخلافات بين العراق والكويت الناجمة عن غزو القوات العراقية للكويت في 1990.

وقال رينات منصور، المحلل في مؤسسة تشاتام هاوس، إنّ "هذا جزء من جهود رئيس الوزراء السوداني لإظهار أنّ العراق، كدولة، يدخل مرحلة جديدة يأمل أن تكون مبنية على السيادة".

حجم الخراب يصدم الغزيّين العائدين إلى جباليا

جباليا (الأراضي الفلسطينية) - في شوارع جباليا التي أصبح من الصعب معرفتها، يعود سكان نزحوا بسبب الحرب المستمرة بين إسرائيل وحركة حماس إلى وسط أنقاض هذا المخيم الواقع في شمال قطاع غزة، "مصدومين" لرؤية مكان "أزيل من الخريطة".

ويقول محمد النجار (33 عاما) من مخيم جباليا "فوجئت بحجم الدمار الحاصل بالعدوان الأخير على مخيم جباليا. لا معالم للدور. كلها متداخلة وعبارة عن ركام. لا يوجد شوارع (...) كأن زلزالا حصل، كله انتقام من الناس".

ويضيف "لا مقومات حياة في جباليا، لا مياه ولا طرق ولا خدمات، حتى المستشفيات تم تخريبها وتدمير مولداتها التي تعمل عليها في كمال عدوان".

وفي الأسابيع الأخيرة، نفّذ الجيش الإسرائيلي عمليات قصف كثيفة على هذه المنطقة من قطاع غزة.

وفي الأيام الأخيرة تدفق عدد كبير من الفلسطينيين إلى هذا المخيم الواقع في شمال القطاع الذي تفرض عليه إسرائيل حصارا مطبقا، في محاولة للعثور على منازلهم وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

وكان رجال ونساء وأطفال يسيرون وسط شارع تنتشر فيه أنقاض مبان مدمرة. بعض العائلات وضعت فرشا وألواحا من الكرتون على عربات تجرها حمير، فيما حمل آخرون لوازمهم على أكتافهم.

لكن رغم الدمار واسع النطاق، يقول محمد النجار إن السكان "مصرّون" على العودة إلى ديارهم.

ويوضح "لدى الناس إصرار على العودة إلى دورهم وإقامة خيام وعرائش فوق الركام وإعادة الحياة إلى جباليا. هناك خوف من عودة الاحتلال مرة ثانية وثالثة، لكن سنبقى في أرضنا ولن نغادرها".

والشهر الماضي، قال الجيش الإسرائيلي إن القتال في جباليا "ربما هو الأعنف" منذ بدء الحرب.

وعثر على جثث سبعة رهائن في المنطقة في مايو. وتجدد القتال عندما سيطر الجيش الإسرائيلي على الجانب الفلسطيني من معبر رفح الحدودي مع مصر.

والجمعة، أعلن الجيش الإسرائيلي أن جنوده "أنهوا مهمتهم" في شرق جباليا.

من جهته، يؤكّد محمد النجار أنه ما زال يسمع أصوات طلقات نارية ونيران المدفعية في الشرق قائلا "نسمع في كل وقت قصفا مدفعيا ورصاصا يطلق من شرق جباليا، الناس سيظلون في المخيم".

بدوره، يقول محمود عسلية (50 عاما) من جباليا "لم أر حجم الدمار الموجود في جباليا من قبل، فهو دمار ونسف منازل بالكامل في مربعات سكنية. في منطقة جباليا، كل بيت إما أحرق وإما قصف بالمدفعية والدبابات وصواريخ الطائرات أو نسف. ليس هناك بيت إلا وتعرض لقصف جيش الاحتلال الإسرائيلي".

ويضيف "عدنا إلى البيت فرأيناه هيكلا من أعمدة إسمنت مهشمة ومدمرة (...) رغم كل هذا سنبقى في جباليا".

ويتابع "المعارك بين المقاومة والجيش كانت عنيفة والجيش تعرض للأذى وهذا ما دفعه للانتقام من البيوت والناس العزّل. لن نغادر جباليا مهما فعل الاحتلال الإسرائيلي".

من جهتها، تقول سعاد أبوصلاح (47 عاما) من مخيم جباليا "تعبنا من نزوح إلى نزوح. الحرب دمرت حياتنا وحياة أطفالنا. يكفي قصفا وضربا وموتا (...) جباليا تم محوها من الخريطة".

وتضيف "نريد أن نعيش مثل الناس في العالم. نحتاج إلى حل ووقف الحرب والعيش بسلام".

ومخيم جباليا من أكبر مخيمات اللاجئين الثمانية في غزة، يقع شمالي القطاع بالقرب من بلدة تحمل ذات الاسم.

وفي أعقاب حرب 1948، استقر اللاجئون في المخيم، ومعظمهم فروا من القرى الواقعة جنوبي فلسطين، التي احتلتها العصابات الصهيونية آنذاك.

> لدى الناس إصرار على العودة إلى دورهم وإقامة خيام فوق الركام وإعادة الحياة إلى جباليا رغم الخوف من عودة الاحتلال

وقبل العملية الإسرائيلية على المخيم، كان عدد سكانه يُقدر بأكثر من 116 ألف لاجئ مسجل، حيث عاشوا على مساحة تبلغ فقط 1.4 كيلومتر مربع، وفق وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا).

كما كان يوجد في المخيم، قبل العملية، العديد من المنشآت التابعة للأونروا، منها 16 مبنى مدرسيا، ومركز لتوزيع الأغذية، و3 مراكز صحية، ومكاتب للإغاثة والتنمية، وآبار مياه.

لكن كل ذلك بات "أثرا بعد عين"، جراء العملية العسكرية الإسرائيلية.

فحجم الدمار الهائل الذي ضرب مخيم جباليا رصدته منظمات دولية إغاثية وحقوقية ومؤسسات محلية، في بيانات منفصلة الجمعة.

إذ قالت الأونروا إنها تلقت تقارير "مروعة" عن تدمير وجرف قوات إسرائيلية لمكاتبها في مخيم جباليا.

وأضافت أن "نازحين، بينهم أطفال كانوا يحتمون بمدارسنا في جباليا، قتلوا وجرحوا على يد الجيش الإسرائيلي".

ولفتت الأونروا إلى أن "الجيش الإسرائيلي أضرم النار في خيام أشخاص لجؤوا إلى مدارسنا".

وأوضحت أن "أكثر من 170 مبنى للأونروا في جميع أنحاء غزة تعرض لأضرار أو للتدمير" منذ اندلاع الحرب في السابع من أكتوبر 2023.

ودعت الوكالة إلى "وقف الهجمات ضد مكاتبها، وحثت العالم على "التحرك لمحاسبة الجناة".

وقال "المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان" إن "الجيش الإسرائيلي تعمد على مدار 3 أسابيع من عمليته العسكرية في جباليا الإمعان في جريمة التهجير القسري للمدنيين الفلسطينيين عبر تدمير شامل لمقومات الحياة والسكن والنجاة المتبقية في المخيم".

وأضاف المرصد "إلى جانب جرائم استهداف المدنيين والقتل العمد والاعتقالات التعسفية، خلفت العملية العسكرية الإسرائيلية تدميرا هائلا تسبب في محو مربعات سكنية بأكملها".

ولفت إلى أن التدمير "طال المئات من المنازل والمباني في المخيم، بما في ذلك مراكز الإيواء والمراكز الطبية والتموينية التابعة للأونروا، وآبار المياه التي كانت الأونروا تشرف على تشغيلها لتزويد السكان بالمياه".

أما المكتب الإعلامي الحكومي بغزة فقال إن الجيش الإسرائيلي استخدم خلال اجتياحه لمخيم جباليا والمناطق المحيطة به سياسة "الأرض المحروقة"، و"دمر مربعات سكنية كاملة؛ ما تسبب في تهجير 200 ألف فلسطيني".

لم يبق شيء غير الذكريات

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

ابحث عن روسيا وإيران في اتصال بلينكن والبرهان

بلينكن تحرك على أكثر من منصة لدعم الحل في السودان

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

توقف الكثير من السودانيين عند الاتصال الهاتفي الذي أجراه وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن بقائد الجيش الفريق أول عبدالفتاح البرهان، الثلاثاء الماضي، لأن الاتصال الذي استغرق نحو نصف ساعة هو الأول منذ أكثر من عام، ومضمونه المعلن يميل نحو الطابع الدبلوماسي من ضرورة العودة إلى طاولة المفاوضات ووقف الحرب ضد قوات الدعم السريع إلى تسهيل دخول المساعدات الإنسانية.

الحاصل أن قراءة محتوى الاتصال في هذا التوقيت تجعل تفسيره مختلفا عمّا هو معلن، فالحرب التي أظهر وزير الخارجية الأميركي انشغاله بوقفها مضى عليها أكثر من عام ولم تقدم واشنطن ما يثبت حرصها التام على وقفها ومنع تمددها وفقا للخارطة الجغرافية التي عليها الآن، والمفاوضات متعثرة منذ حوالي عشرة أشهر والولايات المتحدة وسيط فيها ولم تتحرك بما يكفي، والمساعدات تواجه صعوبات قبل أن تندلع الحرب في أبريل من العام الماضي والإدارة الأميركية تتعامل معها باستهانة.

لعل الأجواء العامة تكشف أحد أهم أسرار قيام بلينكن بالاتصال بالجنرال البرهان، حيث سبق وأن بعث قائد الجيش برسائل عديدة لمن يهمهم الأمر في البيت الأبيض من خلال انفتاحه على كل من روسيا وإيران، أملا في حث سيد البيت الأبيض الرئيس جو بايدن وطاقم إدارته على التحرك نحو نجدته وتقديم مساعدة تمكنه من التفوق عسكريا وسياسيا على قوات الدعم السريع، لكن لا حياة لمن تنادي، ففي كل مرة جرى التلويح فيها بورقة روسيا كان صوت الولايات المتحدة يعلو بإظهار القلق فقط والإيحاء بالضغط على قائد الجيش من دون تقديم ما يسعى إليه الأخير.

وكانت الرسائل المتعلقة بإيران أقل وضوحا، لأن البرهان يعلم خطورة المناورة بها فقد تجلب متاعب كثيرة من الولايات المتحدة وربما بعض الدول العربية، لكن العلاقات مضت في طريق مستقيم من أجل تطبيعها تماما مع طهران، واُتخذت بعض الخطوات الجادة في هذا السياق، وفي كل لقاء جمع بين مسؤول سوداني وآخر إيراني كان الحرص على تطويرها يتجدد، ومع اشتداد وطأة الحرب وطول مدتها زادت الحاجة إلى روسيا وإيران، وبدت تحركات البرهان مع الدولتين أقل اكتراثا بالانزعاج الأميركي.

اعتقدت الولايات المتحدة أنها وضعت ضوابط على السودان كفيلة أن تردعها عن الاستعانة بموسكو والدخول معها في مرحلة متقدمة من تطوير العلاقات بما يقودها إلى الشق العسكري الذي يمكّن روسيا من وضع قدمها في شرق السودان.

وأعلنت الخرطوم قبل اندلاع الحرب الراهنة تجميد اتفاق عسكري مع موسكو وقع أثناء فترة حكم الرئيس السابق عمر البشير، ووقتها كانت المناورة السودانية بالورقة الروسية بهدف الحصول على مكاسب كبيرة من الولايات المتحدة، ولم تكن الورقة الإيرانية ظهرت في الأفق، أو كانت معالمها تدور في الخفاء.

اطمأنت واشنطن إلى أن القيادة العسكرية في السودان لن تجازف بالانحياز لموسكو وقت العمل بالوثيقة الدستورية واستمرار التحالف مع القوى المدنية كضامنة لعدم العودة إلى سياسات النظام السابق وألاعيبه، لكن المعادلة تبدلت بعد الانقلاب العسكري على الحكومة المدنية في الخرطوم، ثم اشتعال الحرب بين الجيش وقوات الدعم السريع، حيث وقفت واشنطن موقفا وسطا، وهو ما لم يكن مرضيا لطموح قادة الجيش الذين لوحوا بروسيا وتركوا الخيوط معها مشدودة في الخفاء، تحسبا لأيّ خديعة أميركية.

ألقت زيارة نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف إلى بورتسودان في أول مايو الماضي بحجارة كثيرة في مياه العلاقات مع موسكو وواشنطن، فالأولى اعترفت بمجلس السيادة السوداني الذي يقوده البرهان كسلطة وحيدة في البلاد، وبعدها جرى الحديث عن التعاون المشترك، بينما الثانية (واشنطن) لم تقم بخطوة مماثلة أو قريبة، وظلت قابضة على العصا من المنتصف في علاقتها بالجيش والدعم السريع.

زاد الحديث عن تطور العلاقة مع موسكو عقب إشارة نائب قائد الجيش ياسر العطا بافتتاح محطة لتزويد السفن الروسية بالوقود في بورتسودان قريبا، وظهرت تجليات التعاون مع إيران في الدور الحيوي الذي لعبته طائراتها المسيّرة في أمّ درمان، ما يشي أن الجيش عصف ببعض الثوابت الأميركية، أو ما تعتقد واشنطن أنها ثوابت يصعب المساس بها من قبل السودان الجريح، وهذه النوعية من التحركات هي التي أغضبت واشنطن، لأن خيوط اللعبة التي تصورت أنها قابضة عليها أو بعضها يمكن أن تتسرّب من بين يديها، بل ربما تذهب إلى ألدّ خصومها في المنطقة والعالم.

واتساقا مع هذا التقدير، يشير اتصال بلينكن بالبرهان إلى أنه كان عاصفا، ولم يكن وديا بالمرة أو انطوى على استجداء وضغط معا، لأن قائد الجيش الذي واجه انكسارات ميدانية الفترة الماضية يمكنه التحالف مع الشيطان إذا وجد أنه سينقذه من ورطته العسكرية بعد أن أدرك عدم جاهزية واشنطن لتقديم مساعدات والتدخل بما يتواءم مع مكانتها كقوة دولية كبيرة حرصت على التعاون مع مؤسسات عسكرية عدة في العالم، وأسهمت كثيرا في دعم جيوش في الوصول إلى السلطة في أفريقيا.

> بوتين يضع عينيه على الوصول إلى المياه الدافئة في البحر الأحمر، ما يعني حدوث خلل في التوازنات التي تريدها واشنطن في المستقبل

يحقق البرهان من خلال تطوير علاقته بروسيا هدفين مهمين، الأول: التأثير على ما تردد بقوة حول وقوف قوات فاغنر الروسية بجانب الدعم السريع في بداية الحرب، فلن تتمكن موسكو من الاستمرار في دعم الطرفين المتصارعين في آن واحد، وبالتالي تتراجع قوة الدعم السريع ميدانيا من وجهة نظر الجيش، والثاني: تحريض الولايات المتحدة على التحرك لدعم البرهان الذي بدأ يتخذ خطوات عملية لتطوير علاقته مع موسكو ولم يعد يرضخ لتهديدات تصله من جهات إقليمية أو دولية، لأن طريق التعاون مع روسيا لن يتوقف عند دعم معنوي أو حمولات من الأسلحة الخفيفة.

> البرهان يأمل في حث بايدن وطاقم إدارته على التحرك لتقديم مساعدة تمكنه من التفوق ميدانيا على قوات الدعم السريع

ولا يزال الرئيس فلاديمير بوتين يضع عينيه على الوصول إلى المياه الدافئة في البحر الأحمر، ما يعني حدوث خلل فاضح في التوازنات التي تريدها الولايات المتحدة في المستقبل، وأن السودان يصبح قاب قوسين أو أدنى من روسيا، ويعني انضمامه العودة إلى لعبة أحجار الدومينو التي يؤدي سقوط إحداها إلى سقوط ما تبقى منها، في وقت ضجرت واشنطن ودول أوروبية من تنامي النفوذ الروسي في غرب أفريقيا، ويفضي امتداده إلى شرقها، ممثلا في السودان، لخسارة إستراتيجية فادحة للغرب.

ويبدو أنه أينما وضعت موسكو قدمها تتبعها طهران في وضع القدم الأخرى، وهي ازدواجية قاسية على الولايات المتحدة، فظهور بصمات إيران في حرب السودان وترجيح كفة الجيش عسكريا سوف يقود إلى تحولات في المنطقة، لن تستطيع واشنطن وحلفاؤها تحمل تبعاتها على المدى الطويل، إذ يمثل إرهاقا إستراتيجيا لها، ويجعلها تكافح على جبهات عدة برؤية ضبابية وغير قادرة على حسم ملفات كثيرة لصالحها.

تضع مقاربة روسيا وإيران في السودان الولايات المتحدة في مأزق عميق، قد يجبرها على التخلي عمّا ظهر في تصرفاتها من بطء ويدفعها إلى التدخل بخشونة واضحة لحض الطرفين المتصارعين على وقف الحرب، أو التسريع باستخدام كل أدواتها الناعمة لاستئناف مفاوضات جدة وتمهيد الطريق لتسوية سياسية حقيقية، قبل أن تؤدي حرب السودان إلى تحوله إلى منطقة نفوذ تتصارع عليها قوى إقليمية ودولية علنا.

إصلاح المؤسسة العسكرية السودانية طريق للحل السياسي

الخرطوم - بعد أن بلورت تنسيقية القوى المدنية السودانية (تقدم) رؤيتها للحل السياسي في ختام مؤتمرها التأسيسي بأديس أبابا، أثيرت تساؤلات عديدة حول مدى قدرة القوى المشاركة في التحالف تنفيذ تلك الرؤية وإقناع قوات الجيش والدعم السريع بها، وكيفية وقف الحرب والتوجه لتنفيذ البرامج السياسية الموضوعة.

تعتقد بعض الدوائر السياسية أن "تقدم" أدت ما عليها سياسيا من خلال وضع برنامج يتضمن ترتيبات أمنية وعسكرية وإغاثية وغيرها، بينما الواقع يؤكد صعوبة التأسيس لمرحلة انتقالية ودستورية قابلة للتنفيذ والحياة في ظل تحديات متعاظمة.

اختارت التنسيقية في مؤتمرها التأسيسي، واستمر 4 أيام واختتم الخميس، رئيس الوزراء السابق عبدالله حمدوك رئيسا لها، وأرجأت تعيين نائبين له، وقررت استكمال تنفيذ هياكلها الداخلية التي توافقت على المرحلة المقبلة وآليات التعامل مع مشاكلها.

وضعت "تقدم" اللبنة السياسية الرئيسية حال جرى التوصل لاتفاق ينهي الحرب، لكنها تصطدم بتباينات كبيرة مع القوى السياسية غير المنضوية في هيكلها الجديد، وستكون أمام مأزق قدرتها على احتواء هذه القوى أو التنازل عن جزء من رؤيتها.

ولا توجد ضمانات واضحة يمكن اتخاذها مؤشراً على إمكانية تنفيذ ما جرى التوصل إليه في أديس أبابا، ورؤية قد تكون مقبولة لشريحة من السودانيين، مع ارتفاع صوت السلاح وخفوت الجهود السياسية للضغط نحو وقف إطلاق النار.

كما أن تشدد الجيش تجاه المبادرات الخارجية وعدم استبعاد دخوله في صدام مع أطراف إقليمية ودولية يبدد آمال القوى السياسية والمواطنين في إنهاء الحرب قريبا.

وأجازت "تقدم" رؤية سياسية لإيقاف الحرب وإنهائها وتأسيس الدولة واستكمال الثورة، وهي ترتكز على وقف إطلاق النار، وإعادة الأمن والاستقرار وعودة النازحين، ووحدة السودان، وإقامة دولة مدنية ديمقراطية تقف على مسافة واحدة من الأديان والهويات والثقافات، وتعترف بالتنوع وتعبّر عن جميع مكونات الدولة بلا تمييز.

وأكد القيادي في تنسيقية "تقدم" الواثق البرير أن المؤتمر التأسيسي خطوة لجمع شمل الشعب السوداني تحت رؤى عامة يمكن على أساسها إيجاد الحلول السلمية لحل المشاكل التي تعانيها الدولة السودانية والمتجذرة فيها منذ الاستقلال، وأن التنسيقية انفتحت على مكونات جديدة هامة، أبرزها الحركة الشعبية بقيادة عبدالعزيز الحلو، والتي شاركت في المؤتمر كمراقب، وحزب المؤتمر الشعبي بقيادة محمد بدرالدين، والحزب الاتحادي الديمقراطي برئاسة إبراهيم الميرغني.

وأضاف البرير في تصريح لـ"العرب" أن الأزمة في السودان لا تتمثل في آليات أو أدوات تنفيذ الرؤية السياسية، لكن في توافق طرفي الصراع على وقف الحرب، وفي تلك الحالة يمكن الحديث عن ضمانات وآليات لنجاح رؤية "تقدم".

وأشار إلى أن الرؤية السياسية جاءت متزنة بما يسهل ضم المزيد من المكونات الوطنية، وأن المائدة المستديرة التي سوف يتم عقدها خلال الفترة المقبلة ستكون شاهدة على لمّ شمل أكبر قدر من السودانيين لمناقشة قضايا ذات اهتمام قومي، فيما عدا حزب المؤتمر الوطني وصانعيه ممّن تسبّبوا في الكثير من المآسي.

ورهنت "تقدم" نجاح الجهود المبذولة لوقف الحرب بتعقل أطراف الصراع، وناشدت المجتمعين الإقليمي والدولي بتحمل مسؤولياتهما بالضغط على هذه الأطراف والسعي الفوري والجاد لإيقاف الصراع بالعودة لطاولة التفاوض وفق رؤية متكاملة للحل تؤدي إلى الوقف الفوري للحرب وإيصال المساعدات الإنسانية والعودة إلى مسار الانتقال.

ولفت البرير في حديثه لـ"العرب" إلى أن تنفيذ الرؤية من المقرر أن يأخذ جوانب تنفيذية مع انتهاء تشكيل الهياكل الداخلية، وسيكون هناك برنامج لشرح تلك الأفكار لدول الجوار، وكل مكونات الشعب السوداني، وأن التنسيقية تأمل في دعم خارجي وداخلي لما توصلت إليه، حيث بعث المؤتمر التأسيسي برسائل واضحة لطرفي الحرب فقد آن الأوان لوضع السلاح جانبا والتحرك نحو الحلول السياسية.

> المؤتمر التأسيسي خطوة لجمع شمل السودانيين تحت رؤى عامة يمكن على أساسها إيجاد الحلول السلمية لحل المشاكل

وتواجه "تقدم" مأزقا أكبر يتعلق بانعدام الثقة في الجيش الذي ينظر بعض قادته للتنسيقية كطرف قريب من قوات الدعم السريع، ولن يكون كافيًا تأكيد حمدوك عدم الاصطفاف خلف أيّ من طرفي الصراع، وذلك في حاجة إلى قدرة على جذب قوى قريبة من الجيش قد تساعد على إذابة المسافات المتباعدة وسط العداء الذي يوليه إسلاميون نافذون داخل المؤسسة العسكرية لقوى مدنية عديدة.

وذهب الواثق البرير، وهو الأمين العام لحزب الأمة القومي، في حديثه لـ"العرب" لتأكيد أن توافق "تقدم" على تأسيس جيش مهني قومي ضمن رؤيته يأتي بعد أن توصل كل من الجيش وقوات الدعم السريع إلى تفاهمات شبه نهائية تقضي بتكوين الجيش القومي قبل اندلاع الحرب، كما أن هناك توافقا على أنه لولا وجود القوى المحسوبة على التيار الإسلامي داخل الجيش لما حدثت المشاكل الحالية.

وتضمنت رؤية "تقدم" تأسيس وبناء منظومة عسكرية وأمنية احترافية ذات عقيدة قتالية وطنية، وإنشاء نظام حكم فيدرالي حقيقي عماده الاعتراف بالحق الأصيل لجميع الأقاليم في إدارة شؤونها ومواردها عبر مجالسها التشريعية وسلطاتها الإقليمية.

وأكد القيادي في "تقدم" اللواء كمال إسماعيل أن القوى السياسية المنضوية داخل التنسيقية لديها أدوات يمكن توظيفها لتنفيذ ما خرجت به في مؤتمر أديس أبابا، وبالنظر إلى مسألة بناء منظومة عسكرية احترافية، فالتنسيقية تضم عددا من القادة السابقين في الجيش لهم رؤية خاصة بكيفية وقف الحرب وإعادة بناء المؤسسة العسكرية وإنفاذ الجوانب السياسية، وسوف تشهد الأيام المقبلة حديثا حول تفاصيل الرؤية في دول ذات تأثير في المنطقة، مثل مصر والسعودية، عبر منبر جدة.

هل يمكن توحيد الجيش

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

زيارة قيس سعيد إلى الصين ترسم حدود الاتجاه شرقا

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

يقارن الكثير من التونسيين الأشياء بمنطق إما أبيض أو أسود، ليس هناك منطقة وسطى من أيّ لون، فأن يذهب الرئيس قيس سعيد إلى الصين، فهذا يعني آليا أن تونس صارت في صف الصين، وإذ زار تونس وزير خارجية روسيا سيرجي لافروف، فهذا يعني أن تونس أدارت ظهرها للعلاقات الاقتصادية مع الغرب.

المصالح لا يمكن التعامل معها بالأمزجة. والدولة تجد نفسها آليا في قلب معادلة تقوم على تنويع العلاقات، وليس كسرها، والرهان على بدائل خاصة بالنسبة إلى دولة لا تمتلك عناصر قوة اقتصادية مثل النفط أو الغاز. يمكن لدول مثل الإمارات والسعودية الحديث عن تنويع الشراكات وستجد اهتماما كبيرا سواء ممن هي منزعجة من أدائهم أو ممن تريد أن تفتح معهم صفحة جديدة.

بالنسبة إلى تونس الأمر مختلف، فهي من تبحث عن الاستثمارات، ولو بالحد الأدنى، وهي من ستعرض مشاريعها على الشركاء المفترضين خاصة الصينيين. وطبعا الصين دولة اقتصادية رأسمالية كبرى تبحث عن المكاسب أينما وجدتها، وليست دولة ماو تسي تونغ التي يمكن أن تفكر في الاستقطاب الأيديولوجي أو في مكافأة من ظلوا على ولاء لها منذ أن كانوا تلاميذ في الثانوي أو في مراحل الجامعة.

وليست أيّ دولة يمكن أن تكون جزءا من الشراكة مع الصين، لنتذكر موضوع الجزائر وكيف عرضت الحصول على عضوية مجموعة بريكس، والجزائر بجلالة نفطها وغازها قيل لها إن اقتصادك لا يمتلك المجموع الذي يتيح له دخول كلية بريكس. صحيح هي صديق مقرب من الصين وروسيا، وهي صديق بما تنفق وما تقدم من مشاريع للشركات الصينية أو للسلاح الروسي، لكن الحق حق، والمصالح لا تحتمل المجاملة ولا النفاق ولا التمني. لم يراع الصينيون والروس أن الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون قد تحدث للجزائريين معتبرا أن العضوية تحصيل حاصل، ولا عرضه بضخ مليار ونصف مليار دولار في بنك بريكس.

وكان الرئيس الجزائري واثقا من قبول مطلب بلاده. وقال، في مقابلة مع وسائل إعلام محلية، إن "الصين وباقي الدول الفاعلة في مجموعة بريكس، على غرار روسيا وجنوب أفريقيا والبرازيل، تدعم انضمام الجزائر إلى هذا القطب الجديد".

الصين ليست درويشا، وهي لا تهتم بمن يغضب من الغرب أو يريد لي الذراع مع صندوق النقد، هي تهتم فقط بما عندك

الفكرة من وراء المثل الجزائري أن الصين ليست درويشا (أو سيدي تاتا كما يقول التونسيون)، وأنها لا تهتم بمن يغضب من الغرب أو يريد لي الذراع مع الصناديق المالية الدولية، هي تهتم فقط بما عندك، وبما ستفيدها. مازال البعض منا يتحدث عن الصين بثقافة أيديولوجية طفولية قديمة ماتت مع الحرب الباردة، ومع الثورة الثقافية قبل أن تفضي إلى إنتاج دولة وطنية رأسمالية كبرى تأتي على الأخضر واليابس.

وبالنتيجة، فإنه من الصعب على تونس أن تتجه كليا إلى الشرق والتشفي من أوروبا التي لم تدعمها بما يكفي، وذلك لاعتبارات منها أن اقتصاد البلاد مبني أساسا على العلاقات مع الغرب، وبالذات مع أوروبا، وبدها العاملة المتخصصة تجد سهولة في الاندماج في فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا، لكن الشرق لا يوفر لها هذه المزايا، وشركاتها اندمجت كليا في النظام الاقتصادي الغربي. من الممكن أن تنوع تعاملاتها، لكن لا يمكنها أن تقوم بقطيعة تامة.

ماذا ستقدم روسيا أو الصين لتونس مثلا؟

بالنسبة إلى روسيا، فهي تقدر فقط على تقديم السلاح أو التعاون الأمني والعسكري، وهذا لا تحتاجه تونس لأن شراكاتها الأمنية والعسكرية غربية بالأساس، ومن الصعب تغيير العقيدة الأمنية والعسكرية بين يوم وليلة. ربما تحصل منها تونس على النفط، لكن الأمر معقد، فالنفط والغاز الروسيان واقعان تحت العقوبات الغربية، ولا يمكن الحصول عليهما من دون تحدي تلك العقوبات.

الصين بدورها تستثمر في النفط والغاز والمعادن، وتونس لا تمتلك لا هذا ولا ذاك. تبقى مسألة القروض، وهي معقدة لأن الصين تطلب رهونا مقابل قروضها، رهن ميناء أو مطار أو ممتلكات خاصة بالدولة المعنية، والرهون تتيح لها امتلاك تلك المؤسسات في حال عجز الدولة عن التسديد.

هذا النظام من القروض لن يقبل به قيس سعيد الذي رفض شروط صندوق النقد لأنه يطلب منه التقشف والتفويت في مؤسسات حكومية لمستثمرين خواص محليين فكيف سيقبل بالتفويت في معالم دولة مثل مطار قرطاج أو النفيضة أو ميناء حلق الوادي.

تنويع الشركاء وارد، لكن مع من وماذا ستقدم تونس، وكيف تفكر بعيدا عن فكرة القطيعة، وافتعال المعارك؟

تريد تونس تنشيط بعض القطاعات مثل السياحة أو الشركات الصغيرة والمتوسطة من خلال اتفاقيات مع دول إقليمية مثل إيران وتركيا ودول الخليج، مثلما كان يفعل الرئيس الراحل زين العابدين بن علي، والزيارة إلى الصين تأتي في هذا السياق.

ودون مبالغة في تحميل الزيارة ما لا تحتمله، فهي ليست زيارة دولة بشكل مستقل، فقط كانت جزءا من مؤتمر اقتصادي عربي – صيني كبير، وحضر فيه زعماء عرب آخرون ووزراء خارجية وشخصيات أخرى متخصصة في المجال.

وهذا الأمر يعني أن الزيارة لن تخرج باتفاقيات ثنائية واضحة ومحددة كما يطالب بذلك المناوئون لقيس سعيد من معارضة اختصت طوال عمرها في إحصاء الأخطاء بدل البناء، تلك التي حاولت التقليل من الزيارة ومن رمزية تونس وأهميتها، ووظفت اللقاء الذي جمع الرئيس التونسي برئيس الوزراء الصيني لي جيانغ للإيحاء بأن اللقاء ليس في قيمة تونس، وأن ثمة تعمدا في تهميش قيس سعيد، وأن قيمته من قيمة رئيس الوزراء قبل أن تكذبهم الوقائع بعد لقاء الرئيسين الصيني والتونسي.

لم يكن هناك استعداد مسبق من تونس ولا الصين لتوقيع اتفاقيات، فالمناسبة عامة، وليست زيارة بأهداف واضحة من بينها تقديم العروض ومشاريع الاستثمار وفرصه، وهو ما يفسر أن البيان المشترك الذي تلا لقاء الرئيس سعيد بشي جينبينغ كان تعبيرا عن اتفاق نوايا مثل "وسيعمل الطرفان سويا على تعزيز التعاون في بناء الحزام والطريق بجودة عالية والاستفادة من المشاريع الإقليمية والثنائية المنجزة في إطار هذه المبادرة، والحفاظ على سلامة المشاريع".

ووفق البيان المشترك الذي نشرته صفحة الرئاسة التونسية على فيسبوك فقد "أكد الجانب الصّيني التزامه بمواصلة دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية في تونس (...) لاسيما في قطاعات الصحة والبنية التحتية والطاقة والنقل والبحث العلمي والفلاحة".

وجاء في البيان أيضا حديث عن "تعزيز تبادل الخبرات في مجالات الإدارة والحوكمة، وتعميق التبادل في المجال البرلماني والهيئات التمثيلية الرسمية المحلية، وتوسيع التعاون المثمر في مجالات البنية التحتية والاقتصاد والتّجارة والاستثمار والطّاقات المتجدّدة والتكنولوجيا والتعليم العالي والبحث العلمي والقطاع السياحي".

لقد أعادت زيارة الرئيس التونسي إلى الصين النقاش بشأن فرص تونس في الاتجاه شرقا، لكنها لم تجب، أو لم تتعرض بأيّ شكل للبدائل التي يمكن أن توفرها بكين وتتيح لتونس الرد على تلكؤ الغرب في دعمها، وعلى شروط صندوق النقد القاسية، وهو ما يعني أن ما يقال هنا وهناك على ألسنة بعض السياسيين والنشطاء هو تنفيس عن مشاعر أكثر منه مقاربة تحليلية لحقيقة الاتجاه شرقا وواقعية الحديث عن قطيعة مع غرب تفرضه علينا الجغرافيا والتاريخ.

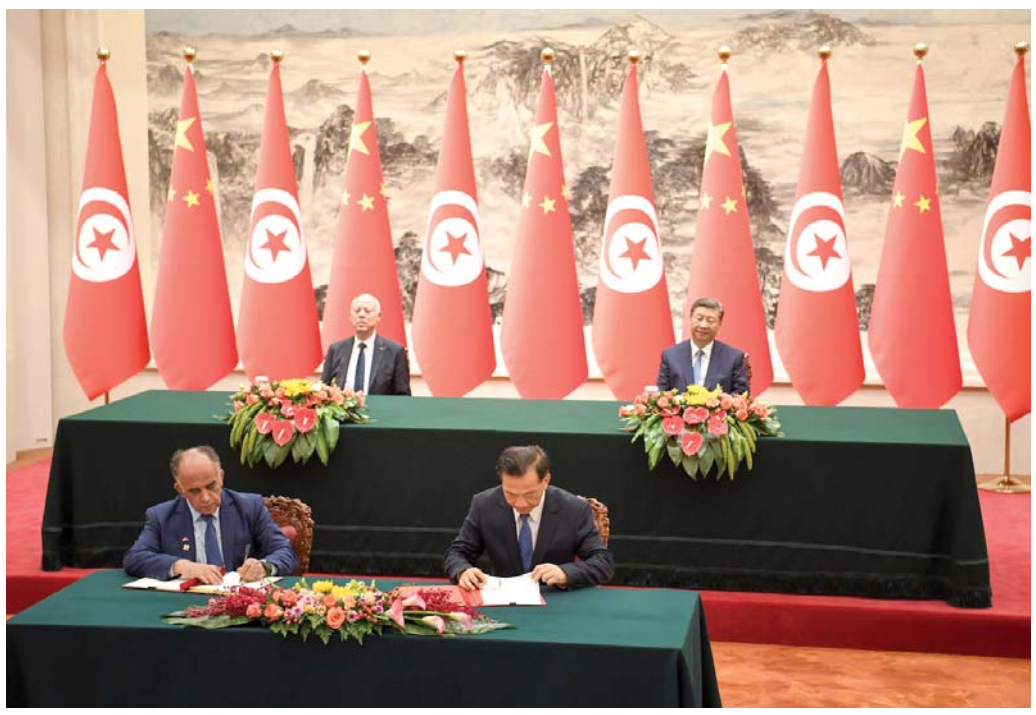

فرص تعاون كبيرة

من يتراجع أولا: حزب الله أم إسرائيل

بيروت - يعزو حزب الله هجماته على إسرائيل بحربها على غزة، وأنه قد يتوقف عن ذلك في حال توقف الحرب، وهو ما يبدو الأقرب حاليا بعد مبادرة الرئيس الأميركي جو بايدن، فهل يجد الحزب في هذه المبادرة مخرجا من حرب لا يتحمل تبعاتها ولا تهز لبنان، وهل تسمح إسرائيل له بذلك أم تستفيد من توقف الحرب على جبهة القطاع للتصعيد في لبنان والانتقام من الحزب الذي دخل الحرب دون مبرر ميداني.

وتزداد الأحداث في جنوب لبنان التهابا مع تصاعد المواجهات وتوسعها تدريجيا بين حزب الله وإسرائيل والمستمرة منذ 8 أكتوبر الماضي على وقع حرب غزة، حيث طرأ عليها تغير كبير في أساليب الاستهداف ونوعية السلاح المستخدم إضافة إلى توسع جغرافية العمليات.

وكانت الأيام الماضية، في جنوب لبنان دامية تحت وطأة تصعيد إسرائيلي اتسم باستهداف مقاتلي حزب الله بالمسيّرات لإيقاع أكبر عدد من الضحايا بينهم.

وشهد الأحد الماضي أحد أشد أيام المواجهات بين الجانبين منذ ثمانية أشهر بحيث بلغت حصيلة قتلى الحزب 8 قتلى وهو رقم قياسي هو الأعلى منذ 8 أكتوبر، استهدفت تل أبيب معظمهم بمسيّرات في الناقورة وعيتا الشعب وحولا وغيرها.

وهو تصعيد انبرى بعده حزب الله إلى الردود العنيفة والمركزة مستهدفا مستوطنات جديدة لم يكن قصفها سابقا مثل مقر قيادة كتيبة ثكنة "حبشيت" ناهيك عن توجيهه رشقات صاروخية كثيفة نحو مناطق مختلفة من الجليل بلغت أقصاها 15 عملية الاثنين الماضي.

كما أعلن الحزب، الجمعة، استهدافه ثكنة برانيت الإسرائيلية بصواريخ "بركان" ثقيلة ما أدى إلى "احتراقها وتدمير جزء منها".

وقال رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الخبير الإستراتيجي العميد الركن المتقاعد هشام جابر إن "الوضع الأمني جنوب لبنان يشهد تطورا ملحوظا بعد التصعيد الإسرائيلي وقيامه بتكثيف عمليات الاغتيال لعناصر وقيادات في حزب الله".

وأضاف "إسرائيل استخدمت الطائرات المسيرة في عمليات الاغتيال ووسعت من غارتها مستهدفة العمق اللبناني بينما الحزب صعد بنوعية عمليته".

ورأى جابر في تصريح للأناضول أن حزب الله لا يميل إلى تكبير مساحة (العمليات) وضرب العمق الإسرائيلي وخاصة القطاع الغربي مثل حيفا وتل أبيب، فحينها سيكون هو من بدأ في توسعة الحرب وهذا ما تريده إسرائيل".

ولفت إلى أن "الحزب لن يقدم على فتح حرب واسعة وهو منذ 8 أشهر يتعامل بميزان دقيق وإسرائيل تعرف أنه يمتلك الآلاف من المسيرات التي يستطيع من خلالها أن يستطلع أجواء المستوطنات القريبة من الحدود اللبنانية وضربها بالصواريخ المنحنية والمباشرة".

ووفق جابر، فإن "الأمور ذاهبة إلى التصعيد ولكنه سيبقى دون سقف الحرب الشاملة إلا إذا ذهبت إسرائيل إليها مع لبنان لكنه حتى الآن مستبعد".

الأمور ذاهبة إلى التصعيد ولكنه سيبقى دون سقف الحرب الشاملة إلا إذا ذهبت إسرائيل إليها لكنه حتى الآن مستبعد

وسبق أن أشارت إسرائيل إلى أنها قد تزيد حدة الأعمال العسكرية إذا أخفقت الدبلوماسية في السماح للسكان الذين يعيشون في المناطق الواقعة على حدودها الشمالية بالعودة إلى منازلهم بأمان.

وتطالب إسرائيل بإبعاد حزب الله إلى ما وراء نهر الليطاني بجنوب لبنان عبر تسوية دولية استنادا إلى القرار الأممي رقم 1701 (والذي ينص على إبعاد حزب الله عن الحدود مع إسرائيل)، وهددت أنه إذا لم تنجح التسوية السياسية الدولية فإنها ستتحرك عسكريا لإبعاد حزب الله عن الحدود.

وفي 11 أغسطس 2006، تبنى مجلس الأمن الدولي بالإجماع القرار 1701، الذي يدعو إلى وقف كامل للعمليات القتالية بين لبنان وإسرائيل، بعد حرب استمرت 33 يوما بين حزب الله والجيش الإسرائيلي.

ويدعو القرار إلى إيجاد منطقة بين الخط الأزرق (الفاصل بين لبنان وإسرائيل) ونهر الليطاني جنوبي لبنان، تكون خالية من أيّ مسلحين ومعدات حربية وأسلحة، ما عدا تلك التابعة للجيش اللبناني وقوة الأمم المتحدة المؤقتة (اليونيفيل).

وسبق أن أكد رئيس الوزراء اللبناني نجيب ميقاتي استعداد بلاده لتطبيق القرار 1701 الصادر عن الأمم المتحدة "بحذافيره"، شرط انسحاب إسرائيل من أراض حدودية محتلة يطالب بها لبنان.

وبحسب مكتب ميقاتي، فإنه يشير إلى الأراضي التي يطالب بها لبنان ولا تزال تحتلها إسرائيل منذ انسحابها من جنوب لبنان عام 2000: مزارع شبعا وتلال كفرشوبا والقسم الشمالي من قرية الغجر.

وتابع الخبير الإستراتيجي أن "لبنان موقفه صريح وواضح وهو انسحاب إسرائيل من المناطق المحتلة وتطبيق القرار الدولي 1701".

واستدرك "لكن تل أبيب تناور وتراوغ ولا تريد تطبيق سوى نصفه (للقرار 1701) فقط فيما يتعلق به"، أي تطبيق إبعاد حزب الله عن الحدود وتجاهل الخروقات الإسرائيلية وعدم انسحابها من الأراضي المحتلة.

وفي تصريح سابق له، قال وزير الخارجية اللبناني، عبد الله بوحبيب "أبلغنا الجميع (المسؤولين الدوليين) أننا على استعداد لتنفيذ القرار 1701 بحذافيره، أي أنه تجب العودة إلى خط الهدنة لعام 1949، مما يعني انسحاب إسرائيل من كافة الأراضي اللبنانية وأن توقف خروقاتها البرية والبحرية والجوية".

وقال الخبير الإستراتيجي والعسكري، العميد المتقاعد ناجي ملاعب، إن "حزب الله أثبت أن لديه تدريبات على وسائل قتالية حديثة ومعقدة واستطاع أن يفاجئ العدو (الإسرائيلي) بعمليات معقد مثل إرسال صواريخ ومسيرات سويًا ومسيرات تحمل صواريخ".

وأضاف أن "هذه العمليات (المعقدة) ليست سهلة وتدل على أن الحزب يستطيع التعامل بتقنيات عسكرية حديثة لم يخرجها بعد".

ومنذ 8 أكتوبر 2023، يتبادل حزب الله وفصائل فلسطينية في لبنان مع الجيش الإسرائيلي قصفا يوميا متقطعا؛ أسفر عن قتلى وجرحى، معظمهم في لبنان.

ويقول الحزب إنه يتضامن مع قطاع غزة، الذي يتعرض منذ 7 أكتوبر الماضي، لحرب إسرائيلية بدعم أميركي، خلفت عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، معظمهم أطفال ونساء، حسب بيانات فلسطينية وأممية.

وفي خطابه الأخير، يوم 24 مايو الماضي، قال أمين عام حزب الله حسن نصرالله إن إسرائيل "لم تحقق" أيّ هدف من أهدافها في الحرب على قطاع غزة باعتراف قادتها، وتوعدها بـ"مفاجآت" من جماعته.

ورد عليه وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت، في 29 من الشهر نفسه قائلا إن الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله يجر لبنان إلى واقع "صعب".

اللبنانيون ملوا من استمرار المغامرة

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

محكمة العدل الدولية ضحية لازدواجية المعايير

المؤسسات الأممية يتم تهميشها من دول كبرى يفترض بها أن تحميها

قرارات دون تطبيق

المؤسسات الدولية تجد نفسها في وضع معقد بسبب تجاوز قراراتها من دول مؤثرة، وكل طرف يريد أن تكون القرارات في صفه ولصالحه. وبدت هذه العقدة أكثر وضوحا مع المحكمة الدولية سواء في الموقف من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أو في حث إسرائيل على وقف هجوم رفح أو التلويح باعتقال بعض قادتها.

نيويورك - تعتبر محكمة العدل الدولية التي تجاهلت روسيا وإسرائيل قراراتها بشأن غزو أوكرانيا والحرب في قطاع غزة، ضحية عاجزة لنظام تعددي شديد الاستقطاب تسوده ازدواجية في المعايير تخوّل الدول الاختيار ما بين احترام القرارات الملزمة أو تجاهلها، على ما يرى خبراء.

وأمرت أعلى هيئة قضائية في الأمم المتحدة روسيا في مارس 2022 بوقف هجومها على أوكرانيا الذي لا يزال جاريا بعد أكثر من سنتين. وفي مايو، أمرت إسرائيل بوقف عملياتها العسكرية في رفح بجنوب قطاع غزة "فورا"، دون أن تحقق إلى الآن أيّ نتيجة.

وردا على سؤال وكالة فرانس برس عمّا إذا كان رفض الامتثال لقرارات ملزمة قانونا ينمّ عن افتقار محكمة العدل الدولية إلى المصداقية أو المشروعية، رأى محللون أن هذا غير صحيح حكما، معتبرين أن على الدول تحمل مسؤولياتها.

وقالت رافايل نوليه غولدباخ الباحثة في المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا إن "الدول اختارت عدم تشكيل قوة شرطة أو قوة مسلحة دولية".

وتابعت أنه نتيجة لذلك فإن محكمة العدل الدولية "تعوّل على إرادة الدول وتعاونها لتطبيق قراراتها. وبالطبع، هذا يعكس حدودا معينة".

لكنها لفتت إلى أن "إصدار أحكام قانونية بشأن نزاع في صلب أحداث الساعة وبالتزامن مع أحداثه، هذا بحدّ ذاته بالغ الأهمية".

أذن من طين وأخرى من عجين

من جانبه، أعلن المكتب الإعلامي التابع لمحكمة العدل أن "الدول تطبق كل قرارات المحكمة تقريبا" معترفا رغم ذلك بأن "حالات عدم الاحترام القليلة، وهي استثناء، لها وطأة شديدة على العلاقات الدولية".

لكن الخبراء يشددون على أن محكمة العدل ليست هي المسؤولة عن ذلك.

وقال لوي شاربونو من منظمة هيومن رايتس ووتش إن "مشكلة المصداقية الحقيقية نابعة من الحكومات التي تعتمد سياسة الكيل بمكيالين".

ولفت إلى أن بعض الدول الغربية "رحبت" بالقرار حول أوكرانيا لكنها أبدت "قلقا" في ما يتعلق بإسرائيل. وعلى العكس، فإن دولا مثل جنوب أفريقيا التي اتهمت إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية بارتكاب "إبادة جماعية" بحق الفلسطينيين في حربها مع حركة حماس بقطاع غزة، "لم تعتمد نبرة شديدة جدا حيال الفظاعات الروسية في أوكرانيا".

وأكد أن على الدول أن تحترم قرارات القضاء الدولي "من أجل أصدقائها وحلفائها، كما من أجل خصومها" وإلا فإن "ذلك يعطي حكومات أخرى ذرائع" لتجاهلها.

وإن كانت قرارات محكمة العدل الدولية تُنفذ بصورة عامة، ينبغي التمييز بين غالبية من القضايا "بلا أهمية كبرى" حول خلافات حدودية أو تفسير معاهدة، وعدد من الملفات "ذات الحساسية السياسية" والمتعلقة بـ"الجرائم الدولية الجوهرية"، على ما أوضحت كيسو نيا من "المجلس الأطلسي" للدراسات.

وهي تشير بصورة خاصة إلى الشكاوى التي رفعتها دول غير ضالعة هي نفسها في القضية، مثل شكوى جنوب أفريقيا ضد إسرائيل أو شكوى غامبيا ضد بورما لاتهامها بارتكاب "إبادة جماعية" بحق أقلية الروهينغا المسلمة.

ورأت أن "الخطر مع تزايد القضايا على هذا الأساس هو أن تسعى بعض الدول للخروج من المعاهدات القائمة".

وفي مطلق الأحوال، فإن عددا من الدول مثل الولايات المتحدة وروسيا والصين وإسرائيل وغيرها، لم تنضم إلى نظام روما الأساسي الذي أنشأ المحكمة الجنائية الدولية، الهيئة القضائية الدولية الأخرى التي تقع حاليا في صلب الأحداث.

وأثارت مذكرة التوقيف الصادرة عن المحكمة الجنائية الدولية بحق الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وطلب مدّعيها العام كريم خان إصدار مذكرات توقيف بحق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو وثلاثة من قادة حماس، تنديدا واحتجاجات من جانب المستهدفين، مرفقة أحيانا بضغوط وتهديدات بأعمال انتقامية.

ورأت كيسو نيا أن "هذا يعكس إلى أيّ حد يُنظر إلى (هذه الآليات) بجدية"، حتى من قبل الذين يرفضونها.

واعتبر روموالد سيورا الباحث في معهد العلاقات الدولية والإستراتيجية أن مسألة المصداقية لا تتوقف على محكمة العدل الدولية أو المحكمة الجنائية الدولية.

وقال إن "مجمل مؤسسات النظام التعددي فقدت من مصداقيتها بصورة متزايدة منذ بضع سنوات".

> حدة الهجوم الإسرائيلي في رفح تظهر أن المقصود هو تحدي المحكمة الدولية ومن يراهن عليها لتنفيذ القانون

ولفت إلى أن "الأمم المتحدة السياسية" ولاسيما مجلس الأمن شديد الانقسام، "باتت قزما" على الساحة الدولية.

وما يزيد من حدة المشكلة أنه خلافا لمحكمة العدل الدولية التي لا تملك أيّ وسيلة لتطبيق قراراتها من تلقاء نفسها، فإن مجلس الأمن لديه سلطة اتخاذ "تدابير" بهذا الصدد، عملا بميثاق الأمم المتحدة.

ومع مواصلة إسرائيل عملياتها في رفح، طلبت جنوب أفريقيا هذا الأسبوع من مجلس الأمن تطبيق أمر الهيئة القضائية.

لكن سعيد بن عربية من لجنة الحقوقيين الدولية رأى أن "شلل مجلس الأمن يمنعه عمليا من تطبيق قراراته هو نفسه، فكيف له أن يطبق قرارات محكمة العدل الدولية؟".

وأحيانا لا يتعلق الأمر بازدواجية المعايير فقط، فهناك حالات تجد فيها مختلف الأطراف نفسها عاجزة عن التحرك والاكتفاء بالتصريحات، مثل ما حصل في ردة فعل إسرائيل على إلزامها بوقف الهجوم على رفح.

ولم يكن الهجوم على المخيمات جزءا من الهجمات اليومية الإسرائيلية على المدنيين، وحدّته بدأت تظهر أم أن المقصود منه هو تحدي المحكمة الدولية ومن يراهن عليها لتنفيذ القانون، خاصة ما تعلق بحياة المدنيين.

وقال جون كيربي، المتحدث باسم مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض، إن واشنطن تعارض فرض عقوبات على مسؤولي المحكمة الجنائية الدولية بسبب سعيها لإصدار مذكرات اعتقال بحق قادة إسرائيليين فيما يتعلق بحرب غزة.

غلاة المحافظين يسيطرون على الترشيحات للرئاسة في إيران

طهران - ذكرت وسائل إعلام رسمية أن القائد السابق في الحرس الثوري الإيراني وحيد حقانيان، المدرج على قائمة أميركية للعقوبات، ضمن من سجلوا أسماءهم السبت للترشح للرئاسة في إيران بعد وفاة الرئيس إبراهيم رئيسي الشهر الماضي في حادث تحطم طائرة هليكوبتر.

ويأتي ترشح حقانيان كدليل إضافي على أن المحافظين يسيطرون على قائمة الترشيحات لخلافة رئيسي، وعلى التوقعات بأن الرئيس القادم سيكون من ضمنهم.

وقال حقانيان، وهو مساعد مقرب من الزعيم الأعلى الإيراني آية الله علي خامنئي، للصحافيين عقب تسجيل ترشحه إن تأهله يستند إلى "خبرة تمتد 45 عاما قضاها في هيئة الرئاسة ومكتب الزعيم الأعلى".

وفرضت وزارة الخزانة الأميركية عقوبات على حقانيان في عام 2019 ضمن تسعة أفراد من "الدائرة المقربة لخامنئي المسؤولة عن زيادة.. القمع الداخلي والخارجي".

وتقول إيران إن معظم العقوبات الأميركية تستند إلى اتهامات لا أساس لها.

وقال أحد مسؤولي الانتخابات للصحافيين السبت إن هناك 12 مرشحا سجلوا أسماءهم منذ بدء عملية التسجيل يوم الخميس لخوض انتخابات 28 يونيو.

وسينشر مجلس صيانة الدستور في 11 يونيو قائمة المرشحين المؤهلين لخوض المنافسة.

وكان ينظر إلى رئيسي على أنه خليفة محتمل للزعيم الإيراني الأعلى خامنئي، صاحب القول الفصل في البلاد. وأثارت وفاة رئيسي المفاجئة منافسة بين غلاة المحافظين للتأثير على اختيار الرئيس الجديد.

وبعد فترة التسجيل التي تستمر خمسة أيام، سيقوم مجلس صيانة الدستور بفحص طلبات المرشحين للرئاسة. واتهم سياسيون معتدلون المجلس المؤلف من 12 عضوا بإقصاء المرشحين المنافسين لغلاة المحافظين الذين من المتوقع أن يهيمنوا على السباق الرئاسي.

وقد تتأثر نسبة الإقبال على التصويت بسبب الخيارات المحدودة من المرشحين وتزايد السخط حيال مجموعة من الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ووسط المزيج المعقد في إيران من الحكام الدينيين والمسؤولين المنتخبين، تكون لخامنئي الكلمة الفصل في جميع شؤون الدولة مثل السياسات النووية والخارجية. لكن الرئيس المنتخب سيكون مسؤولا عن معالجة الصعوبات الاقتصادية المتفاقمة.

وسعيد جليلي، كبير المفاوضين السابق في الملف النووي ومدير مكتب خامنئي لأربع سنوات بدأت قبل عقدين، أول الشخصيات البارزة من غلاة المحافظين الذي يسجل اسمه لخوض الانتخابات وذلك يوم الخميس.

وذكرت وسائل إعلام إيرانية اسم محمد مخبر الرئيس المؤقت للبلاد واعتبرته من المرشحين المحتملين.

وقدّم الرئيس السابق للبرلمان الإيراني، السياسي المعتدل علي لاريجاني، بدوره ترشيحه للانتخابات الرئاسية.

ووفقا للقطات بثها التلفزيون الرسمي قدم لاريجاني (66 عاما) طلب ترشيحه صباح الجمعة. وقال للصحافيين إن إحدى "أولوياته" في حال انتخابه هي "حل مسألة العقوبات (الأميركية)" وتحسين الوضع الاقتصادي للجمهورية الإسلامية.

وككل المرشحين إلى الانتخابات في إيران، سيكون خوض لاريجاني السباق الرئاسي رهن مصادقة مجلس صيانة الدستور المؤلف من 12 عضواً على ترشيحه.

وكان الرئيس السابق لمجلس الشورى الإسلامي (البرلمان)، من ضمن العديد من المرشحين الإصلاحيين والمعتدلين الذين استبعدهم المجلس عن انتخابات 2021 التي فاز بها رئيسي.

وشهدت تلك الانتخابات نسبة مشاركة بلغت 48.8 في المئة فقط، وكانت الأدنى في انتخابات رئاسية منذ إقامة الجمهورية الإسلامية في العام 1979.

ويعدّ لاريجاني من أبرز الوجوه السياسية في الجمهورية الإسلامية، وتولى مناصب عدة في النظام السياسي للبلاد على مدى العقود الثلاثة الماضية. وسبق أن خاض الانتخابات الرئاسية عام 2005، وخسرها في مواجهة الشعبوي محمود أحمدي نجاد.

> ترشح حقانيان دليل على أن المحافظين يسيطرون على قائمة الترشيحات، وعلى التوقعات بأن الرئيس القادم سيكون منهم

وشغل بعد ذلك منصب أمين المجلس الأعلى للأمن القومي وقاد المفاوضات مع القوى الكبرى في الملف النووي، وابتعد عن هذا الدور بعد عامين نظرا لتباين وجهات النظر مع أحمدي نجاد حول مقاربة هذا الموضوع الشائك الذي أثار توترات بين طهران والدول الغربية.

وشغل لاريجاني رئاسة مجلس الشورى على ثلاثة مراحل بين 2008 و2020، وكان من الداعمين للاتفاق بشأن برنامج إيران النووي المبرم عام 2015 بين طهران والقوى الدولية، والذي انسحبت الولايات المتحدة أحاديا منه في 2018.

ولاريجاني ابن عالم دين بارز، ويحمل درجة الدكتوراه في الفلسفة وينحدر من عائلة مؤثرة لها علاقات بالقيادة الدينية في إيران. ويشغل شقيقه صادق آملي لاريجاني منصب رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام.

وأتى ترشح لاريجاني غداة تقدّم مفاوض نووي سابق آخر، هو المحافظ المتشدد سعيد جليلي، بترشيحه للانتخابات.

والجمعة تقدّم بأوراق ترشيحه للانتخابات الرئاسية الإصلاحي عبدالناصر همّتي، الحاكم السابق للمصرف المركزي والذي ترشّح للانتخابات الرئاسية في 2021. ويومها حصل هذا الخبير الاقتصادي البالغ 67 عاماً على 8.4 في المئة من الأصوات فقط.

ويقول مراقبون إن صعود المتشددين سيعني آليا المزيد من التوتر مع الغرب، وخاصة مع الولايات المتحدة، وسيزيد من العقوبات على البلاد.

وأدانت إيران السبت فرض الاتحاد الأوروبي عقوبات جديدة على مسؤولين رفيعي المستوى وعلى الحرس الثوري على خلفية تزويد روسيا وحلفاء طهران في الشرق الأوسط بطائرات من دون طيار.

لاريجاني.. المعتدل الوحيد

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

قصة اليوم التالي الذي قلب نتائج انتخابات 2019 في الجزائر

ماذا حدث، وكيف انتهت اللعبة بفوز تبون؟

على بعد أشهر سيعرف قصر الرئاسة الجزائرية وافدا جديدا أو قديما متجددا.. كل السيناريوهات المطبوخة بعناية تكاد تكون هي نفسها.. بنفس الطعم والنكهة والإخراج.. الاختلاف ربما في التفاصيل.. لتظل سردية انتخاب الرئيس في الجزائر، سواء بالاقتراع أو بتدخل من قوى متشعبة تمسك بالقرار، معضلة وعلة لا تُشفى من نماذج مكررة.

هل تتجد مغامرة تبون

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

ماذا شاب المسار المعقد الذي سلكته رئاسيات 2019، والتي بعثت لنا عبدالمجيد تبون، ويجتهد فريقه إلى الآن، في رسم "كاريزمته" بعناء شديد، يطوف رجاله ونساؤه في كل شبر من البلاد لتعداد منجزات مرحلته، وانضم إليهم آخرون من خارج قوقعة النظام من رؤساء أحزاب وقوم تبّع، كل يبحث عن موطئ قدم في رقعة المصالح والسلطة، كي يكون تبون وليس سواه قدر الجزائر مرة أخرى والذي تشرئب الأعناق ليتولى دفة الحكم من جديد.

رحلة متشابكة

ياسين، الشخصية الغامضة الناشطة في المجال السياسي والاقتصادي وخلف الكواليس، العسكري السابق الذي حارب الإرهاب، وكان ينتمي إلى فيلق خطير من رجال تقدموا الصفوف الأمامية في تعقب الإرهابيين فدحروهم وقاتلوهم بشراسة دفاعا عن الوطن، لم يكن يدرك أن تلك الرحلة التي قادته إلى المدينة العريقة قسنطينة ستكون عاصفة وقاطعة في تغير مجرى الانتخابات الرئاسية لسنة 2019 التي أفضت إلى فوز تبون..

نشط المترشح عزالدين ميهوبي في هذه المدينة تجمعا حاشدا وصف بالمخيف، جندت له كافة الوسائل والإمكانيات.. ظهر فيه الفائز المطلق الذي لا غبار عليه بالمنصب..

شقّت السيارة التي كانت تقلني أنا وصديق ثالث في ليل بارد، تلتهم الطريق على عجل.. لم يتوقف هاتف ياسين من رنين ضاج، فقد كان فريق حملة المترشح آنذاك تبون يتجهز ويحضر لتجمع في اليوم التالي لحملة ميهوبي.. إلا أن الفريق، مثلما بدا في ملامح وجه ياسين ونبرة صوته وهو يتكلم معهم، تائها ومضطربا وقلقا من سيناريو اشتعل كالهشيم في سماء الجزائر، وسكن جوّها، وتربع في الإدارات والمؤسسات، مدنية وعسكرية، وخلق حالة دراماتيكية أربكت النفوس التي اطمأنت، ولو إلى حين، على أن السفينة رست على قلعة تبون، فهو مدعوم من رجل تلك المرحلة، الأصلب عودا والأقوى رعبا، الفريق الراحل أحمد قايد صالح.

كانت المعلومات التي رشحت من سيناريو تردد أن يشبه "الانقلاب"، تترى، وتتوالى وتعوم في فوضى عارمة، واهية ومتشابكة، نسجت خيوطه في عرين مغلق، عرّابه مدير الأمن الداخلي الجنرال سابقا والجندي حاليا واسيني بوعزة، المسجون بتهم ثقيلة ليس أقلها الخيانة العظمى، تباينت أسباب إقدامه على الانفراد بقرار الوقوف بقوة وحزم في وجه تبون، وتقديمه لميهوبي الذي تجمع الكثير من الآراء على ضعف بنيوي لصيق بشخصه يسهل التحكم به والسيطرة عليه حال فوزه بالرئاسة، حتى أنه لم يلتق ببوعزة إطلاقا طوال حياته، وكانت الاتصالات به تتم عن طريق ضباط آخرين وفي أحسن الظروف عن طريق الهاتف.

تحرك بوعزة، كما تقول أشد القراءات احتمالا، بإيعاز من خليط مبهم، خفيّ من رجال سلطة وأعمال نافذين، مسجونين حاليا، وربما من الدولة العميقة، مجهولة الشكل والمضمون، غامضة، راقبت الوضع الذي آلت إليه الجزائر بعد انهيار فلولها إثر انتفاضة الشارع ضد العهدة الخامسة للرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة، أعقبها جمع الفريق قايد صالح صلاحيات مطلقة بين يديه، بطش من خلالها بكبار الجنرالات وحفنة من رجال النظام السابق من سياسيين و"بزنس مان"، وزجّ بهم في السجن.

حرك بوعزة بين أصابعه، كل شيء، من عساكر بمختلف الرتب إلى أبسط موظف إداري، من أقوى المؤسسات إلى أسهلها.. وضعت كلها تحت تصرفه لتنفيذ خطته الجهنمية للاستيلاء على كرسي الحكم، ووضع ميهوبي عليه بقوة الترغيب والترهيب، أذعنت له الرقاب، ونفّذت أوامره بالحرف الواحد، حتى أن رحلة تقصي أخرى قادتني مع صديق إلى مدينة جنوبية، حيث خضت هدوء الحملة الانتخابية هناك التي كانت تجري بسلاسة وأريحية تعليمات صارمة عليا لضباط مراكز البحث والتحري المعروف اختصارا بـCTR، للعمل بكل ما يملكون من أجل أن ترجح كفة ميهوبي في موقعة الانتخابات.. كانوا هم وغيرهم في مواقع أخرى على كف عفريت، فمن جهة عليهم طاعة قائدهم بوعزة وأيّ حركة عصيان يعني تسليط عقوبات لا أول ولا آخر لها.. ومن جهة هم على دراية كافية أن تبون أقرب إلى قلب ورأس رئيس الأركان قايد صالح.

كان سؤالهم هو: ماذا علينا أن نفعل؟

لا أحد أجابهم، ظلوا يتأرجحون على حبال معلقة وواهنة، ينتظرون أيّ تهمة قادمة من قلعة "طاقرا" حيث مبنى وزارة الدفاع، أو من الغرف المظلمة حيث يقال إنها هي التي تصنع رؤساء الجزائر، أو ما يتسرّب من قواعد المترشحين، على قلتهم، لتلك الرئاسيات أو من يطلق عليهم أرانب السباق، لم يسقط منها سوى تصريح يتيم للمترشح الإسلامي عبدالقادر بن قرينة، سقط كالإبرة وسط قعقعة الصخب والشائعات، وأعلن في ثقة مفرطة أنه سيمر هو وتبون إلى الدور الثاني نظرا لتقارب النتائج.

غليان في كل مكان

مست شظايا الغليان، من الطبقة السياسية إلى أطياف المجتمع المدني، إلى وسائل الإعلام بلا استثناء، بدا أن أمر تولي ميهوبي الرئاسة مسألة وقت يبرق بخفة واضحة لا لبس فيها ولن تشوبها شائبة، وتجهّز الكثير ممن خلخلهم الوضع المأمور به من طرف بوعزة لتبديل معطف الولاء، وأعد أنصاره العدة، تقاسموا المناصب إن في الرئاسة أو في الحكومة أو في المؤسسات السيادية، ونثروا زهور الطاعة وهللوا للقادم الجديد للقصر قبل الإعلان الرسمي للنتيجة.

> تبون كان دوما يبتسم بود في وجه شنقريحة الذي يبادله نفس الابتسامة، ولا نعرف هل يفعل ذلك كبار العسكريين مع تبون أم لا

كانت اللعبة أخطر مما تصوره هؤلاء، انعدمت لديهم الرؤية الحقيقية لواقع آخر قد يطل ويفاجئ من حيث لا أحد يتوقع أو ينتظر، وتذكر الكثير منهم خيبتهم في اليوم التالي حين فاز تبون، واسترجعوا ما حدث لرئيس الحكومة السابق علي بن فليس حين ترشح في رئاسيات 2004، اصطف حوله خلق كثير، واقتنعوا أنه المخلص، الوافر، ومطلق الحظ الذي سيمحو الرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة من الذهن، ويزيحه من الكرسي المضني للحكم، فقد كان أقوى رجل في منظومة العسكر آنذاك، الراحل الفريق محمد العماري صوت عال، وجبار، قاهر، ومرفوع ضد بوتفليقة، بل أمر بالصد والهجوم والتموقع في كل مكان يمكن أن يتواجد فيه طيف هذا الأخير.

في هذه الأثناء راقبت حملة تبون الوضع المحتدم الذي كان يغلي.. وصلت تقارير مكثفة ومبهمة عن حسم النتيجة لصالح ميهوبي، حتى أنه أعلن في جلسة خاصة لفريقه الضيق، أنه سيقيم حفل تكريم ضخم وخاص للفريق قايد صالح، محفوف بالتقدير والعرفان، وسيرفعه إلى مقام العليين، ثم سيشكره على ما بذله طوال سنين عمره، وسيبعثه إلى تقاعد مريح وفاخر، بل في لحظة غرور قاتلة، قال لكاتب هذا التحقيق بعد فترة، إنه كان سيسنّ قانون يمنع – لو فاز –، من وضع صورته في إطار كما هو معمول به في كافة الدول التي تضع صورة الرؤساء في المؤسسات السيادية، وسيكتفي فقط بصورة العلم الوطني.

غير أن صروف قدر آخر وضعت رجلا بسيط جدا، وأضعف ممّا يمكن أن يتصوره أحد، في قلب المعلومة الأشد سرية في كل هذه اللعبة التي تكاثرت حولها الأقاويل والأراجيف والحقائق والأباطيل، رأى ما كان يطبخ في خلية متوارية بوزارة الداخلية حيث عصب الفرز والتدقيق والتحكم وحتى التلاعب بالنتائج على ما يقوله الخاسرون دوما في أيّ انتخابات، وما كان منه إلا أن أخذ الهاتف واتصل بمحمد لعقاب، مدير حملة تبون آنذاك ووزير الاتصال حاليا، وشرح له خيطا رفيعا من مؤامرة مركبة كانت ستنتهي كما رُسم لها باعتلاء ميهوبي كرسي الرئاسة.

دب القلق في رأس لعقاب.. هل سيخبر تبون بالأمر؟.. هل سيتصل بالفريق قايد صالح الذي أحكم بوعزة الدائرة حوله وسيّجها بالحديد والنار حتى لا تصله أيّ معلومة أو إشارة..

لقد اطمئن القايد إلى مختلف التقارير الماكرة التي تمّ دسها بعناية فائقة حول السير الحسن والنزيه للانتخابات، ونوّموه في عسل الراحة والهدوء، وسدوا عليه المنافذ كي لا تصله الأصوات التي يمكن أن تقضه، يعرفون أنه منهك بالتعب والمرض والوهن.

لم يعرف الراحة والسكون منذ تحرك الشارع ضد العهدة الخامسة المريبة لبوتفليقة، وجد نفسه في واجهة أحداث كبرى تفوق بكثير عقله وقدراته الذهنية التي وصفتها رئيسة حزب العمال لويزة حنون بـ"حبة حمص" بعد لقائها به، وأصبح هذا النعت حديث الصالونات ومجالس النميمة، حتى أن الجنرال الراحل خالد نزار استعمله في كلمته الشهيرة الأولى والأخيرة التي وجه فيها انتقادات رهيبة للطريقة التي انتهجها قايد صالح في معالجات الأحداث، وقاد بها المؤسسة العسكرية وفعل برجالها ما فعل، وكان ذلك عندما فر نزار إلى إسبانيا هاربا بجلده من بطشه.

يعرف الكل، خاصة العسكر، أن القايد لم يكن ذكيا محنكا، أو لاعبا ماهرا في ميدان السياسة والمناورات والتكتيكات، اتصف بالخشونة والسطوة وعدم تقدير العواقب والملمات، لا يأخذ بالمشورة والرأي المغاير، والويل لمن عاكسه أو تكلم بغير ما يريد أن يسمع أو يرى أو يقرر، أراد أن يطفئ الحرائق التي شبت في كل مكان منذ اندلاع الحراك.. صب عليها الماء وفي مرات عديدة زادها لهيبا.. تخطى الحواجز والخطوط الحمراء، وقاتل حتى الرمق الأخير إلى أن سقط في فخ موت مريب بعد يوم من فوز تبون، وبذلك لم يهنأ برؤية هذا الأخير جالسا على الكرسي الوثير للرئاسة، بل إن الألسن التي تتحدث في أذن بعضها قالت، حسنا أنه مات، وإلا كانت الجزائر ستشهد موجة أخرى تعلو بالصراعات والقلاقل والاعتقالات سيكون أولها ميهوبي نفسه، وسيكبل حركة تبون بمقامع من حديد.

لعقاب المنقذ

وصلت المعلومة إلى أذن لعقاب من صديقه، فهو رجل ثقة وأمانة ويعرفه من مدة طويلة، قلّبها على ألف وجه، وأضاف إليها كل الخليط الذي تسرب وعبر سماء الجزائر وأرضها وكواليسها، فقد ثبت بالدليل القاطع أن للنظام بل الجناح الأقوى في مؤسسة الجيش مرشحهم، واندفع كما هو معروف عنه، لا يلوي على شيء، متسلحا بكل ما يعرف من خفايا وخبايا.. وعقد ندوة صحفية خاطفة، مهاجما بلغة حادة كل هذه المزاعم التي انتشرت بقوة التي تقول: إن للجزائر رئيسا جديدا اسمه ميهوبي.

برز لعقاب في تلك اللحظة العصيبة كعازف منفرد، منقذ من أخطبوط كان سيلف عنق الجزائر، تفاعلت الأحداث وتعاظمت بالقيل والقال والضرب تحت الحزام، تفسخت، وتمددت في سياق ما يقال إنها مؤامرة لم تبرح بعد أفواه المتكلمين بها إلى اليوم، وستبقى على كل حال رأسمالا ثريا يلجأ إليه النظام مكرها وشاهرا سيفه كل ما شعر بالخطر..

أصبح لعقاب في قلب صناعة وصياغة مرحلة مضنية كادت تتكسر وتتشظى تحت الأقدام، تحرك هو وثلة من الرجال بسرعة، علنا ومن وراء الستار.. كانت الغاية آلا تنهار البلاد أكثر بسبب أفاعيل وممارسات أقل ما يقال عنها إنها لا تشرف عظمة الجزائر وتاريخها، والتي للأسف ما زلت إلى اليوم عقيدة راسخة في ذهن الكثير من رجال النظام.

فاز تبون بنسبة ما زالت محيّرة، وهي نسبة صحيحة كما يؤكد الخبراء وتصدح بها التقارير، لا يخفي الموالون رضاهم عنها، ولا يحبها الغاضبون منها بل ما زالوا يعبّرون عن سخطهم عليها، ولكنها مؤشر على أن ملامح اللعبة القادمة للرئاسيات ستبدو مثقلة بها، وبالشروخات التي حدثت آنذاك.

ومهما قيل عن اللبس الذي غلّف رئاسيات 2019، فإنها شهدت صراعا ومنافسة، واحتدمت بقوى الجذب بين أطراف خفية وعلنية، وهي ظاهرة معروفة منذ قيام الدولة الجزائرية، أبطالها رجال من الرئاسة والجيش، تجري بينهما بصمت وصخب أحيانا، مع أنها وبعد مرور 4 سنوات على حكم تبون خفتت.

تبون كان دوما يبتسم بود في وجه الفريق أول السعيد شنقريحة الذي كان بدوره يبادله تقريبا نفس الابتسامة، رغم أننا لا نعرف على وجه الدقة وبحسن النية، هل يفعل ذلك كبار المؤسسة العسكرية مع تبون أم لا؟.. فالصور التي تبث عندما يلتقي بهم في اجتماعات علنية يبدو عليها الوجوم والصرامة، وربما يكتمون غضبا ليس عليه كما يقول الملاحظون بل على بطانته ومحيطه.

منذ تأسس النظام الجزائري كانت هذه الابتسامات بين السياسي والعسكري تتسم بالبرودة والدفء حسب الظرف والمصلحة ونفوذ كليهما، وتحوّلت في الكثير من الأوقات إلى غضب مكتوم عندما تتأزم العلاقة، وتضيع بوصلتاهما في تقييم الوضع، طبعا ترسخت في المخيال والوعي فكرة تقول إن المنتصر دوما هو العسكري صاحب القوة والجبروت والسيطرة وأخيرا القرار..

ومهما لعب السياسي بمكر ودهاء وحيلة إلا أن صوت العسكري ظل دوما هو النوتة الغالبة في سلم العزف، كما فعل الراحل بوتفليقة سنة 1999، حين أوصل القادة الكبار للمؤسسة العسكرية إلى حوافي التيه، مارس فيه المد والجزر حين اجتمعوا به وعرضوا عليه المنصب بعد الاستقالة المفاجئة للعسكري ليامين زروال من سدة الحكم، عرضوه عليه في جلسة مشهورة بحضور زوجة الراحل محمد بوضياف.

> الكل كان يعرف، وخاصة العسكر، أن القايد لم يكن ذكيا محنكا، أو لاعبا ماهرا في ميدان السياسة والمناورات والتكتيكات

ستستغرق الجزائر مرة أخرى في تكرار سيناريو الانتخابات، ولكنه معدل بدخول مرشحين إلى المسرح تتم إعادة رسكلتهم، ومهما فعل القوم الذين يمكن أن يعارضوا أو يحتجوا أو يقاطعوا أو حتى أولئك الذين سينزهونها عن الشوائب والتزوير، فإن فكرة اليوم التالي قد تفاجئ وتنزل من سماء أخرى.

ولا نلغي فكرة أن زيارة تبون إلى خنشلة الولاية شبة المنسية، والتي صدح فيها صوت الحراك الأول، هي دليل قويّ على أن خوفا غامضا يهيمن وعلى أن حسابات تدور في محيط الرئاسة محورها أن حدثا ما يمكن أن يعكر صفو الاصطفاف والاطمئنان على أن كل شيء يسير بالتمام والكمال.

الجيش مهندس اللعبة دائما

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

بعد صعود الشعبوية.. خطابها شيء وتطبيقه شيء آخر

إبراهيم سعدي
كاتب جزائري

يعرف المؤرخ الفرنسي نيكولا لوبور اليمين المتطرف بكونه حقلا سياسيا يجمع عدة تيارات تلتقي حول رؤية للعالم تقوم على مذهب العضوانية الذي يقول إن المجتمع يشتغل ككائن حي، ومن ثم فهي تروج لمفهوم عضواني عن المجموعة (استنادا إلى الإثنية أو العرق أو الجنسية) وتؤكد على رغبتها في إعادة تشكيلها بكيفية متجانسة، فتغذي طوباوية «مجتمع مغلق» قادر على تأمين نهضة المجموعة.

وأنصار اليمين المتطرف يرفضون النظام السياسي القائم من جهة مؤسساته وقيمه، ويعتبرون أن المجتمع في انحطاط تُمعن الدولة في تدهوره، وبالتالي فإن مهمتهم تكتسي طابع الإنقاذ، إنقاذ المجتمع وإنقاذ الدولة، فيتشكلون في هيئة مجتمع مضاد، يرفض النظام الجيوسياسي القائم، ويقدمون أنفسهم كنخبة بديلة.

هذا التعريف، يقول نيكولا لوبور، يغطي الحقل الواسع لليمين المتطرف، ويشمل أولئك الذين يتوقون إلى إعادة صياغة المؤسسات على نحو استبدادي متسلط، على غرار الذين يتمنون ثورة شاملة تحط من قيم المعطيات الموروثة عن الليبرالية السياسية. هؤلاء هم من أنصار اليمين الراديكالي، الذي ظهر في خضم الحرب العالمية الأولى، والتي كانت الفاشية تياره المهيكل، دون أن يكون الوحيد. وهو تيار لم يتطور إلا في بعض الحالات كمَجريي «جوبيك» ويونانيي «الفجر الذهبي».

أما الشعبوية، فهي كالحقيبة تحوي كل شيء، دون أن تكون خاصة بفضاء جغرافي بعينه، ولا ذات فحوى سياسية محددة، فمن فيكتور أوربان في المجر إلى هوغو شافيز في فنزويلا، مرورا برجب طيب أردوغان في تركيا وليخ كازينسكي في بولندا وبيبي غريلو في إيطاليا وكريستوف بلوخر في سويسرا ومارين لوبان في فرنسا ودونالد ترامب في الولايات المتحدة، تتعدد الشعبوية وتتخذ أوجها مختلفة، فنجد فيها دعوة إلى سيطرة الدولة كليا أو جزئيا على وسائل الإنتاج مثلما نجد تمجيدا للمبادرة الفردية، ونَجد الاحتفاء بالهوية الدينية إلى جانب الدفاع عن العلمانية.

وخلافا لما يشاع عن كونها متولدة من الطبقة الوسطى التي وقع تفقيرها، ليس للشعبوية محتوى سوسيولوجي: فلئن كانت الطبقات الميسورة هي التي صوتت لترامب مثلا، فإن قادة الشعبوية في شرق أوروبا هم من مؤيدي الإصلاح الزراعي وجلهم من الشرائح القروية الفقيرة.

أضف إلى ذلك أن لكل حزب سياسي، يمينيا كان أم يساريا، «مكونا شعبويا»، يدعي تمثيل الشعب ضد «المنظومة» والنخبة والأجهزة السياسية، ما يجعل التحديد المفهومي غائما وسط البلاغة والخطابة، ذلك أن الزعيم الشعبوي يسعى إلى جعل المتغير ثابتا، واستخلاص عبرة أخلاقية حاسمة تسمح باعتبار المعارض غريبا وسيئا في جوهره؛ فالزعيم لا ينزل عند رغبة متواصلة للإرادة العامة، بل يرتكز على شرعية نهائية حاسمة تسمّى «روح الشعب»، كما يقول أستاذ العلوم السياسية الألماني يان فيرنر مولر في كتابه «ما الشعبوية؟»؛ وفي رأيه أن خصائص هذه الظاهرة يمكن تلخيصها في كونها «ضد النخبوية، وضد التعددية، وضد البرلمانية، تؤمن بالاتصال المباشر، والتواصل التخاطري تقريبا بين الشعب والناطق باسمه».

إن أغلب منظري الديمقراطية يتفقون على أن «الإرادة الشعبية» هي مسألة معقدة، ولكن أفضل التوصيفات الذكية للشعبوية، كما يقترحها الأرجنتيني إرنستو لاكلو، تحاول أن تفهم كيف ترتبط رُمَر وهويات ومصالح خاصة شتى ببعضها بعضا دون أن تفقد خصوصيتها. وفي نظر لاكلو إن جهد التمفصل في سلسلة ارتباطات بين هويات مختلفة هو هدف الشعبوية، أي أنها ليست التقاء فاشيا مع «إرادة فريدة» ولا بروز قائد ذي كاريزما لتوحيد الشعب. فالشعبوية إذن موجودة في اليسار وموجودة في اليمين كما تتجلى في مثال دونالد ترامب.

الشعبوية كالحقيبة تحوي كل شيء دون أن تكون خاصة بفضاء جغرافي بعينه، ولا ذات فحوى سياسية محددة

إن لانتخاب هذا الرجل رئيسا لأميركا أسبابا عديدة، أجملها المحللون في أصوات الناخبين البيض الذين يواجهون ظروفا اقتصادية صعبة، ووعوده هو بسد الباب أمام المهاجرين لخلق حظوظ أوفر في سوق الشغل، ووقاية الأميركان من الإرهاب الإسلامي. ولكنهم يغفلون عن العنصرية المتجذرة في المجتمع الأميركي منذ أمد بعيد، والتي أذكى جذوتها بخطاب شعبوي طوال حملة استند فيها إلى أنصاره من العنصريين وأعداء المهاجرين المنتمين إلى «الفطرية» (nativisme) وهي حركة أسسها عام 1830 بورجوازيون بروتستانت من أصول إنجليزية، كانت تقود حملات لإيقاف الهجرة الكاثوليكية، لكونها تهدد، حسب زعم أعضاء الحركة، الديمقراطية الليبرالية البروتستانتية).

فما وصفوه بـ"الغضب الاقتصادي" إنما تضافر مع الحقد العنصري لإيصال رجل يذكرنا جهلُه بالسياسة وقلةُ خبرته بدواليبها بالترويكا التي حكمت تونس أو مرسي العياط وإخوانه في مصر بعد الثورة. لقد استغل هو وجماعته مناخا متوترا منذ أحداث 11 سبتمبر طغى فيه الخوف من الإرهاب والرغبة في تعزيز الأمن ولو على حساب الحريات، كما هو الشأن في بلدان أوروبية كثيرة، ليمرر خطابا طوباويا هاذيا فتح الباب أمام الأحقاد والضغائن والعنصرية، ليس في أميركا وحدها، بل في كافة أنحاء أوروبا حيث وجدت أحزاب اليمين المتطرف في «الأخ الأكبر» مثالا وقدوة.

صحيح أنه لا وجود حتى الآن لأممية فاشية، ولا لوحدة بين مختلف أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا وسواها، بيد أن سمات مشتركة كثيرة بدأت تبرز في الأعوام الأخيرة، وتوحي بأن المجتمعات الأوروبية باتت تتحرك ككيان حي، كالدعوة إلى طرد المهاجرين لحل أزمة البطالة، والتذكير بجذور أوروبا اليهودية المسيحية حفاظا على الهوية حينا والقومية حينا آخر أمام غزو إسلامي مزعوم، لاسيما عقب أعمال العنف التي ضربت بعض المدن الأوروبية.

ولكن الخطاب الشعبوي شيء، وتطبيقه شيء آخر، لاسيما على رأس قوة عظمى ترى في كل نقطة في الكون جزءا لا يتجزأ من أمنها القومي. وهو ما لم يحسب له ترامب حسابا. فبعد أسبوع واحد، وقرارات لم يستشر فيها أهل الذكر كي يعرف مدى شرعيتها وجوازها قانونيا ودبلوماسيا، بدا مثل الملك أوبو، بطل مسرحية ألفريد جاري، يصدر أحكامه بانفعال وحقد وتشف، كيفما اتفق، لفائدة مصلحته الشخصية، وإرضاء لفئة جاءت به إلى السلطة.

يخاطب زعماء البلدان الأجنبية وكأنهم موظفون في شركاته وفنادقه، كما حصل مع الرئيس المكسيكي حول الجدار العازل، ورئيس الوزراء الأسترالي حول استقبال المهاجرين. والفرق الوحيد أن أوبو استولى على السلطة بقتل الملك، فيما وصل إليها ترامب عن طريق الاقتراع، وإن كان ما حصل عليه أقل من منافسته هيلاري كلينتون بثلاثة ملايين صوت، أما الطبائع والسلوك فمتماثلة أو تكاد.

فأوبو ذاتي المركز لا يفكر إلا في مصلحته الخاصة؛ غير أمين لا يفرق بين الملك العام والشؤون الخاصة؛ عديم الكفاءة لا تنفك حاشيته تتعقب سقطاته وقراراته الخرقاء؛ سوقي يشتم كل من حوله لا يستثني حتى زوجته؛ فظ يهين رعيته ويتخلص من خصومه.

كذلك ترامب بل زاد عليه، إذ يعاني فوق ذلك كله، حسب بعض المتخصصين، من نوع من النرجسية يخالف أشكال النرجسية الأخرى، يميل بصاحبه إلى الشر، لكونه اضطرابا نفسانيا خطيرا، يتميز بغياب الوعي، وتنميق في أساليب الخطاب مشفوع بتعطش كبير إلى النفوذ، ونزوع إلى السادية، مثلما جاء في تقرير الطبيب النفساني أوتو كيرنبرغ عام 1984.

كما أن كاتب سيرته يؤكد أن الرئيس الأميركي الجديد يعاني من عجز في الانتباه يمنعه من التركيز أكثر من بضع دقائق في موضوع واحد، ولذلك غالبا ما يعهد لمقربيه وحتى أبنائه بدراسة الملفات التي ينبغي أن يتخذ فيها قراره. ومن ثم فإن «ما يثير القلق فعلا ليس هوية الناخبين الذين أوصلوه إلى السلطة، ولا أعضاء حكومته، بل الرجل نفسه»، كما قال ديدييه فاسان أستاذ العلوم الاجتماعية ببرنستون.

لن يكون لمثل هذه التطورات تأثير لو حدثت في بلد غير ذي وزن على الساحة العالمية، كحال إيطاليا في عهد برلسكوني، ولكن أن يحدث ذلك في أميركا، فهو مؤشر على أن التبعات ستكون كبيرة وخطيرة، لاسيما أن وصول ترامب إلى السلطة ترافق مع المد اليميني المتطرف في سائر أنحاء أوروبا، وانتشار العنصرية والإسلاموفوبيا، وعودة نزعة استشراقية عنصرية جديدة، نلمسها في وسائل الإعلام الفرنسية مثلا، وفي عدد المنشورات التي يدعي فيها أصحابها معرفتهم بالعرب ودينهم.

وترافق أيضا مع قراراته المتهافتة التي لا تخضع لمنطق، كضرورة إعادة النظر في حلف الناتو، الحلف الوحيد الذي لا يزال متماسكا؛ وتشجيعه على تفكيك الاتحاد الأوروبي وإضعاف أوروبا أمام الخطر الروسي، حليف واشنطن الأول؛ وخاصة قراره بمنع مواطني عدد من البلدان العربية والإسلامية من دخول أميركا، وهو قرار أثار سخط العالم أجمع، حتى منظمة الأمم المتحدة، إلى جانب توقيعه على مذكرة انسحاب بلاده من اتفاقية التبادل الحر عبر المحيط الهادئ. حتى ليحار المرء في فهم مقاصد رجل أعمال يستفيد من العولمة ويريد جر بلاده إلى العزلة.

والحق أن موقف ترامب، وإن بدا غريبا، ليس جديدا على أميركا فقد اتخذت في الماضي قرارات مماثلة بداية من القرن التاسع عشر، كحركة الفطرية التي أسلفنا ذكرها أعلاه، ثم القانون الذي صدر عام 1884 ضد الصينيين بحجة التصدي لمطامعهم في ذهب المناجم الأميركية، وشمل اليابانيين من بعدهم، وكذلك قانون «جونسون ريد» الصادر عام 1924 لتحديد نسب الوافدين من أوروبا الشرقية، فضلا عما سمي بتوقي «الخوف الأحمر» إشارة إلى سياسة المراقبة التي فرضتها السلطات على دخول المهاجرين الأوروبيين بعد الثورة البلشفية عام 1917، مثلما فرضتها على كل الوافدين من أوروبا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939.

لتبرير تصلبه أمام بقية دول العالم، يستعمل ترامب عبارة «أميركا أولا»، التي تحيل على لجنة بعثت عام 1940 لمنع دخول الولايات المتحدة في حرب ضد ألمانيا النازية، (وضمت شخصيات معروفة أمثال هنري فورد ووالت ديزني والطيار تشارلز ليندبرغ والممثلة ليليان غيش والروائي سنكلار لويس والشاعر إدوارد كامينغز وغيرها من الشخصيات الديمقراطية والاشتراكية)، ثم وقع حلها عقب الغارة اليابانية على بيرل هاربر.

وبالرغم من أن العبارة صارت مستهجنة في المجتمع الأميركي منذ ذلك التاريخ، لكونها توحي لديهم بمعاداة السامية، من جهة عدم تعاطف الأميركان مع اليهود وكرههم مقاومة هتلر، فإن ترامب أصر على استعمالها حتى في خطاب تنصيبه «من الآن، ستكون أميركا أولا. كل قرار في الاقتصاد، والضرائب، والهجرة، والشؤون الخارجية سوف يُتخذ لفائدة العمال الأميركان والعائلات الأميركية».

وبصرف النظر عن كونه عاب على خصمه بات بوكانان استعمالها في انتخابات عام 2000 ونعتَه بـ"عاشق هتلر"، فإن خطاب تنصيبه نصّ صراحة على «الحماية» حيث قال «علينا أن نحمي حدودنا من الأضرار التي تلحقها بلدان أخرى بمنتجاتنا، وتنهب شركاتنا وتتلف فرص شغلنا. الحماية ستؤدي إلى رخاء كبير وقوة».

والحق أن ترامب ليس استثناء، وما فعله إنما هو إعادة تقليد جمهوري قديم تضاءل بعد الحرب، فمن جورج واشنطن إلى أبراهام لنكولن سعى الجمهوريون إلى إقامة جدار تَعْريفي يحمي الصناعة الأميركية الناشئة، بل إن بعض المؤرخين يؤكدون على أن الحمائية هي أحد الأعمدة المؤسسة لفكرة أميركا، وأن حرب التحرير تجد جذورها في العجز التجاري مع إنجلترا. ولم تتراجع تلك الحمائية إلا في مطلع ثلاثينات القرن الماضي، حين أدى قانون الترفيع في الضرائب الجمركية على مئات المنتجات التي فرضها الكونغرس على الرئيس هربرت هوفر إلى إغراق العالم في دوامة حرب تجارية، زادت الأزمة الاقتصادية والمالية العالمية حدة.

الثابت أن ترامب وجد أمامه ثلاث مشكلات عويصة هي الصين كاقتصاد قوي سوف يستفيد من الفراغ الذي يتركه الأميركان؛ والاتحاد الأوروبي كسوق متكاملة في معاداتها ضربٌ للصناعيين الأميركان أنفسهم؛ والكونغرس الذي يهمين عليه نوابٌ يدافعون عن مصالح ناخبيهم من كبار الصناعيين المتمسكين بالتبادل الحر.

في وصف هذه الظاهرة، ظاهرة بروز زعيم شعبوي ظاهرُه مثيرٌ للسخرية، وباطنه شرٌ مقيم، كانت الكاتبة والمحللة السياسة فرنسواز جيرو (1916 – 2003) قد كتبت منذ سنين «هكذا تبدأ الفاشية. لا تفصح عن اسمها أبدا، هي تزحف، تتموج، وعندما تُبدي أرنبةَ أنفها، نقول: أهذه هي؟ أنتَ واثق؟ كفاكَ مبالغة! وفي يوم تصفعنا بعنفها ويكون طردها قد فات أوانه».

ترامب مثال على صعود الشعبويات

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الثقافية الشهرية اللندنية

علينا البحث عن الغزلان الرشيقة والابتعاد عن السلاحف

عادل خليفة المهدوي
باحث ليبي

قبل عقدين من الزمن لم يكن للإنترنت دور بارز في دوائر السياسة الخارجية سوى كونها وسيلة اتصال حديثة، وإن الأثر الناشئ والمحتمل للإنترنت على العلاقات الدولية مسألة ناشئة وحديثة لمخططي السياسات وصانعي القرارات داخل دوائر وزارات الخارجية باعتبارهم لا زالوا منهمكين بفكر وعقل العصر الصناعي .

فعندما ألقت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون خطابا هاما في يناير 2010 حول حرية الإنترنت وأهميتها، وكذلك خطورة الإنترنت والعواقب الوخيمة التي قد تخلفها، ودور السياسة الخارجية الحديثة تجاه الإنترنت، وجعلت منها قضية أولوية بالنسبة إلى وزارة الخارجية الأميركية كان ذلك تدخلا جريئا وجديدا.

آنذاك اعتبر العديد من خبراء العلاقات الدولية وقادة السياسة الخارجية في العالم خطاب كلينتون بمثابة ضياع للوقت، وأن هناك أمورا خطيرة وأهم من أولوية الإنترنت، وذلك ناتج لعدم امتلاك العديد من وزارات الخارجية لخبراء في مجال التكنولوجيا الرقمية في ذاك الوقت، وعدم قدرة العديد من الدول عبر وزاراتها للخارجية على التنبؤ بالعلاقة التبادلية الكامنة ما بين القيادة السياسية والمجتمع المعلوماتي الناشئة في مهدها .

وبالتالى عندما ظهرت WikiLeaks،Stuxnet ، Arab Spring، Jizy Park، كعامل في تشكيل الحركة السياسية الاجتماعية في صورة علاقة إلزامية لوزارة الخارجية مع المجتمع المعلوماتي، واحتشدت غالبية وزارات الخارجية للحاق بالأحداث وبناء العلاقة التبادلية المفقودة والضائعة، كان القطار قد رحل، في حينها وجدت وزارة الخارجية نفسها تعمل على مواكبة الأحداث وليس على صناعة الأحداث والتأثير في مجرياتها للاستفادة منها في صناعة القرار السياسي والسلام المجتمعي .

وبالتالي فإن غالبية السفارات في جميع أنحاء العالم لم تستطع التنبؤ بهذا، ولم تدرك أهمية وخطورة العصر الرقمي، الأمر الذي ترتب عليه ضرر كبير بالأمن القومي لتلك الدول وإمكانية الدفاع عنها في الوقت الميت وفي الزمن القاتل.

وبالتالي إن التكنولوجيا التحويلية الآن شبه غائبة عن أجندة الدبلوماسية والسياسة الخارجية وسيؤدي هذا الغياب أو التجاهل إلى إلحاق ضرر كبير بالأمن القومي للدولة والدفاع عنها في المستقبل المنظور، كون مصالح السياسة الخارجية للدولة ستصطدم بمعايير الأمن الإنساني والحرية الإنسانية وحقوق الإنسان عبر الإنترنت.

كما ستصطدم بالسيادة في الركن الافتراضي وما يترتب عليها من بروز قضايا الإرهاب الرقمي، وذلك نظرا إلى التطور والتحول السريع والهائل في مجال تقنيات الذكاء الاصطناعي وإشكالياته المتعلقة بحرية التعبير والنشاط المدني والتقدم الاجتماعي وصناعة التطبيقات وابتكار البرامج.

ستقف القيادة السياسية عاجزة أمام التدفق الهائل من المعلومات التي سيتم تصنيفها وتحليلها وتبويبها بتقنية الذكاء الاصطناعي والتي ستكون أقوى من ذكاء الدبلوماسي التقليدي مهما كانت فخامة زيه الرسمي وبريق رائحة عطوره ولمعان حذاءه وجودته، فهو متشبع بفكر وعقل سياسات العصر الصناعي حتى وإن كان قد عاصر العصر الرقمي، فالحوسبة والرقمية ليست من جيل الدبلوماسي التقليدي، فهو واكبها في نهاية حياته الوظيفية، على خلاف الجيل الرقمي والذي يعتبر تكنولوجيا المعلومات ثقافة عصره.

الجيل الرقمي جيل يسبح بسرعة الضوء دون حدود جغرافية ودون قيود فكرية، أما الدبلوماسي الهرم فيرى في الحوسبة والرقمية تطورا تجب مواكبته والتفاعل معه فقط، ولكن جوفه وعقله لازال يسبح في فضاءات أخرى مثل القومية والعروبة وربما لا زال يعشق كلمة الساحة مقدسة، على خلاف الجيل الرقمي فهو جيل التكنولوجيا الرقمية وبالتالي هو قادر على فهم خطورة التكنولوجيا التحويلية ومواكبتها والاستفادة من تطوراتها في مجال التقنيات الروبوتية وثورة الذكاء الاصطناعي.

يجب البحث عن غزلان رشيقة تتميز بعقول فذة والابتعاد عن السلاحف الهرمة لمواكبة التطورات السريعة والهائلة والمتلاحقة والتي تتسم بعدم المحدودية وبالانتشار بسرعة الضوء .

وبالتالي إن تجاهل التكنولوجيا التحويلية من قبل القيادة السياسية والدبلوماسية الخارجية ستترتب عليه عواقب وخيمة، بعيدة المدى وشديدة التأثير، وستلحق ضررا كبيرا بمستقبل الدولة وتحديد مصيرها في ما يتعلق بحياة الشعوب واستقرارها ورفاهيتها ومستقبلها.

إذا نؤكد في هذا المقال الموجز على أن الذكاء الاصطناعي بمنزلة الإعصار أو التسونامي الذي سيغير كوكبنا، ولن يترك مجالاً من المجالات إلا ويحدث فيه أثرا، وسيجعل الكثير من المسلمات التي تعارف عليها البشر لعقود طويلة محل جدل ونقاش، وليست السياسة ببعيدة عن دائرة تأثير الذكاء الاصطناعي، سواء على مستوى العلاقات بين الدول، وتوازنات العلاقات الدولية وتفاعلاتها بشكل عام، أو على مستوى السياسات الداخلية للدول، وآليات صنعها وممارستها وطبيعة الأطراف الفاعلة فيها.

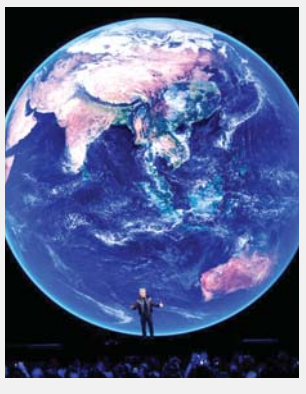

الذكاء الاصطناعي بمنزلة الإعصار أو التسونامي الذي سيغير كوكبنا ولن يترك مجالاً من المجالات إلا ويحدث فيه أثرا

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

للجدران نحوها الخاص ولغتها المثقلة بهموم المهمشين

الكتابة الجدارية الظاهرة التي لم تلق حظها من الدراسة

ما يقال في الشارع وما يكتب على الجدران ليس بمعزل عن الحركة الثقافية كما يظن البعض كما أنه من صلب اللغة ونحوها، وهذا أمر ربما يتفاجأ به الدارسون، إذ ليس النحو تلك القواعد المضبوطة التي تبقى داخل قاعات الدروس كما أن الثقافة ليست فقط تلك المنتجات الفنية والعلمية والفكرية، وهذا ما نقرؤه في دراسة مشوقة للأكاديمي والكاتب التونسي توفيق العلوي.

فضاء الجدران بديل شعبي للتعبير

خروج النحو من منطقه الأكاديمي ليعايش اللغة اليومية

يوسف رحايمي
باحث وأكاديمي تونسي

لقد ساد في الاعتقاد أن النحو علم ينشغل بالمسائل الإعرابية المرتبطة بالتقعيد وكل ما يخص القضايا النحوية التعليمية، ويبدو أن هذا الاعتقاد قد سيطر على أذهان المشتغلين في هذا العلم، وغدا حقيقة لا مجال لدحضها أو ردها، غير أن تمحيص النظر في حقيقة هذا العلم قد يؤجل الحكم في هذا الاعتقاد ويعيد تحريك مسلمات الفهم.

النحو ليس مجرد علم يهتم بقضايا الرفع والنصب وحالات ورود الفعل والاسم وغيرهما (النحو الخاص)، وإنما هو علم يتجاوز حدود هذا ليمسّ حياة الناس وتفاصيلهم اليومية (النحو العام). فهو منهج حياة يخوض فيه الفصيح المالك لقوانين إنشاء القول وتأويله ويستعمله العامي البسيط في التعبير عن مشاغل تسكن مكونات النفس.

مصطلح الغرافمار

هذا الإعلاء من قيمة النحو ليس تعصبا له، وإنما هي حقيقة تجعل منه في علاقة وطيدة بالحياة، بعيدا عمّا يقال في طقوس الفصل الدراسي. حيث نعثر على النحو في لافتات الطريق وعلى بلور السيارات وفي جدران الشوارع، تعبيرا عن وجود فضاء آخر ومتكلم آخر لم تألفه ذائقة القراء.

> ما يكتبه العوام على جدران الشوارع ليس مفارقا للواقع وللنحو إنه كتابة تخضع إلى قوانين تحتاج من يستنطقها

وفق هذا الاعتبار يأتي هذا المقال للنظر في كتاب وسمه صاحبه بـ "نحْو الشوارع، في رحيل النحو إلى الشوارع" وهو لأستاذ اللسانيات بجامعة منوبة في تونس توفيق العلوي الذي حاول من خلاله تفكيك نحو الشارع من خلال الاشتغال على ضرب من العبارات والجمل المكتوبة على الجدران، وابتدع لها مصطلحا أسماه "غرافمارْ" (Graffimmaire) ، وهو مصطلح مركب من "غرافيتي" وهو ما يعرف بالرسم والكتابة على الجدران و(mmaire) اللاصقة المعبرة عن (grammaire) كناية عن علم النحو والقواعد.

جاء الكتاب المنشور عن دار محمد علي للنشر بتونس في 256 صفحة تبحر بنا في عوالم الشوارع وجدرانها التي تحكي هموم المهمشين الذين لم يجدوا من يسمعهم في اغتراب كبير بين المجتمع والسلطة، ليلجؤوا إلى حيطان صامتة تعبر عوضا عنهم بلغة تبدو في نظر الكاتب أن لها نحوا يحتاج إلى التفكيك والتمحيص.

ينطلق الكتاب من افتراض أساسي فحواه أن للكتابة على الجدران نسقا نحويا يضبطها رغم ما فيها من فوضى تركيبية، فلهذا الضرب من الكتابة نحْو لا شك في ذلك، ولكن ما يغيب عن أذهان القراء هو أن هذا النحو يحتاج إلى مناويل ومداخل للكشف عنه. فنحن أمام النحو بمفهومه العام الذي يتجاوز قراءة القضايا التعليمية إلى بناء فلسفة للنحو تتقاطع فيها مستويات التحليل، وينفتح فيها النحو وعلوم اللسان بصفة عامة على قضايا الحياة اليومية والاجتماعية.

من أجل تأصيل المسألة انطلق صاحب الكتاب من البعد التاريخي للظاهرة، حيث حفر في أصول هذه الممارسة، ليعود بنا إلى أغوار تاريخية، فظاهرة التدوين الجداري لها شرعية تاريخية مرتبطة بوجود الإنسان. حيث أشار إلى وجود الظاهرة في أميركا اللاتينية، هذا فضلا عن عمقها الزمني مع الفراعنة من خلال الكتابة على جدران الكهوف وتحويل المشاغل اليومية من صيد وغيره إلى كتابة رمزية، فهذا النسق من التوثيق وإن كان غير واع في بعض الأحيان فإن له حضورا تاريخيا مسيرا بمسوغات ثقافية واجتماعية معينة.

على هذا الأساس فقد حفل التاريخ الإنساني بهذا الضرب من التعبير، وهو ما جعل العلوي يؤسس للفكرة على أساس تاريخي يمهد به لدراسته، لاسيما وأنه اعتبر أن هذه الظاهرة لم تلق حظها من الدراسة وخاصة من الناحية اللغوية والنحوية على وجه الخصوص، لأن هذه الظاهرة قد تم التطرق إليها من ناحية سياقات التعبير البلاغي، فقد أشار إليها الباحث عماد عبداللطيف في إطار تشريحه لخطاب الميادين تحت عنوان طريف اختار له تسمية "حين تكون الحوائط لسان الثورات".

للشوارع نحوها

بهذا التأصيل النظري يأخذ العلوي بأيدينا إلى دهاليز الكتاب، ليبدأ في استنطاق العلامات اللغوية وغير اللغوية، من خلال ضرب نماذج متعددة وأمثلة التقطتها عدسته اللغوية من مسارح الشارع. ومخافة أن نزج بالقارئ في تفاصيل دقيقة في الكتاب ونحرمه متعة المكاشفة الذاتية، نقترح أن نضع بين يديه بعض الأمثلة التي فككها العلوي من أجل الكشف عن فكرته ومنهجه الذي اتكأ عليه في استنطاق لغة الجدران، ونظامها النحوي الذي ركبت على أساسه.

ويهمنا هنا أن نأخذ بيدي القارئ إلى أمثلة دونتها أيادي الشباب التونسيين على أزقة أحيائه وجدرانها، ومثالنا في هذا الإطار مقتبس من الكتاب، والقائل "لو وجدْنا من يسمعنا لتركنا جدرانكم بيضاء"، حيث ينطلق الكاتب من هذه الجملة ليؤسس فكرته الرئيسية ويؤكد على الأدوار التي تلعبها الجدران في التعبير، فهناك لا شك عقل ناظم يقف وراء ذلك، وهناك أيضا منطق وأساس نحوي ركبتْ وفقه هذه التدوينات.

ويبدو أن هذا المثال خير دليل على أن فضاء الجدران أضحى بديلا شعبيا للتعبير عن الهموم السياسية والاجتماعية، حيث يكشف لنا عن الهوة التواصلية القائمة بين الشباب والسلطة السياسية، وقد اعتمدها العلوي مدخلا إلى التحليل، ليصبح الجدار وسيلة للتواصل والتعبير. وتعتبر عبارة "نحن ملوك الشوارع" المثال الأبرز عن تصور هؤلاء الذين يجدون في الشارع ملاذا تخيليا يفرغون فيه همومهم النفسية والاجتماعية والسياسية.

وفي مرحلة متقدمة عاين الكاتب عبارات أشد تعقيدا، من قبيل "أنقظو ما تبقا من الشباب" حيث باشرها من مداخل ومناويل متعددة اتكأت على العلوم اللسانية كالتداولية والعرفانية والسيميائية التي تعاين اللغة والصورة والإشارة على حد السواء. فرغم أن هذه الجملة جاءت مشوهة لغويا، غير أن الكاتب وجد لها مدخلا، إذا اعتبر أن اعتماد الظاء المفخمة (وهذا خطأ في الرسم) له اعتبار ذهني ونفسي، وذلك لأن التفخيم الكتابي ينسجم مع الدلالات والاعتبارات التي يريد القائل تبليغها، فالتكثيف الكتابي يتساوق مع التكثيف الدلالي وهنا تتلاحم الكتابة المعجمية مع الدلالة.

وقد عول الكاتب أيضا على ما أسماه "التناص الجداري"، رغم ما في هذا التناص من اختلاف عن التناص الأدبي، حيث اعتبر أن هذا الضرب من التناص قائم على تحريك الكلمات من مكان إلى آخر مع بعض التحويرات، وقد استدل الكاتب هنا بعبارة "الصعاليك" التي استعملت في أكثر من موضع جداري وتحولت وتطورت في سياقات دلالية أخرى. ولهذا فنحن نشهد تحويرا للكلمة.

"صالعليك لكن مثقفوان" هذه الجملة التي تشكلت تشكيلا لغويا مشوها ليست خارج المعطى الدلالي وإنما تخفي وراءها فكرة، فأول الأشياء أن الذي كتبها اثنان (مثنى) ويظهر ذلك من خلال مثقفوان، أضف إلى ذلك أن دلالتها قائمة على اعتبار رد الفعل إلى طرف معين وربما هو المجتمع ونظرته إلى هؤلاء، فقولهما "لكن مثقفوان" تكشف عن عقلية المدون الذي يعتبر أن الصعلوك ليس مثقفا، وثانيا هي موجهة إلى من يحتقر هؤلاء ويزدريهم. فضلا عن هذا اهتم العلوي بما أسماه الاستعارة الجدارية أو التشبيه الجداري ضمن هذه التدوينات، زدْ على ذلك ما يعرف بأعمال الكلام وقيمتها اللغوية الإنشائية.

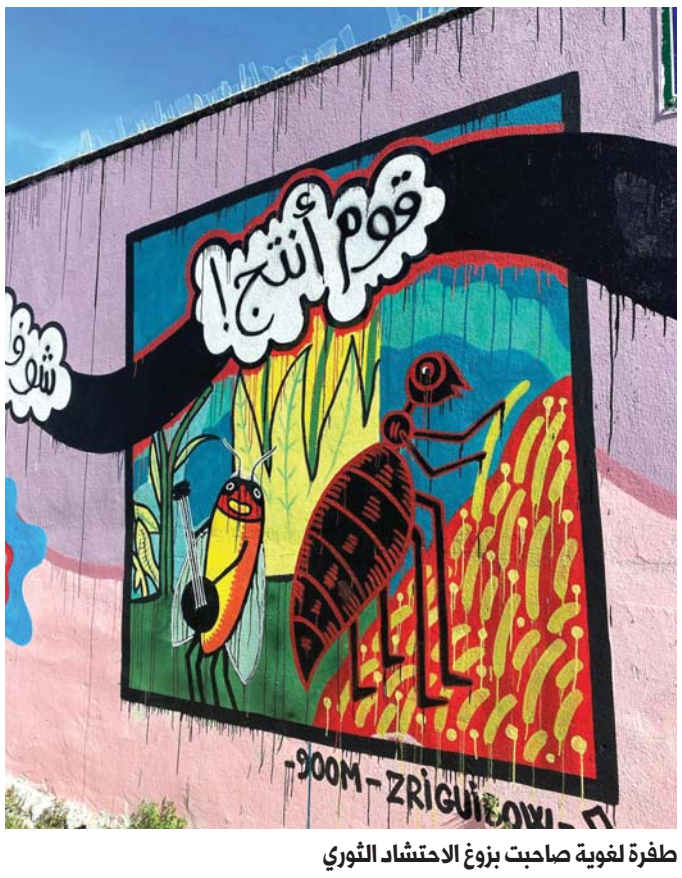

طفرة لغوية صاحبت بزوغ الاحتشاد الثوري

بناء على هذه المداخل اللغوية التي استند فيها العلوي على أعرق النظريات اللسانية الحديثة، فكك لنا لغة الجدران كاشفا عن نحوها الخاص الذي اعتمده المدونون، لتصبح الجدران "أشبه بصفحات متراكمة من سجلات التاريخ كل سجل يخلد لحظة تاريخية خاصة في مسار الثورة وتطور خطابها"..

النحو ومعايشة المجتمع

لم يكن لكتاب "نحو الشوارع" أن تبنى معالمه لولا وجود سياق عام سمح باقتناص هذه الفكرة، فقد تشكلت أطروحات هذا المصنف في إطار طفرة لغوية صاحبت بزوغ الاحتشاد الثوري في تونس زمن الثورة، حيث اجتاحت اللغة أكوان الأزقة والشوارع وارتسمت على الجدران تعبيرا عن حالة لغوية وبلاغية جديدة.

في هذا الفضاء والميدان اللغوي الجديد تحررت اللغة من سياسات القول المضبوطة وتخلصت من ذلك الطابع الرسمي، لتستوطن بين أيدي العامة يحرّرونها على الجدران وفق مع يتماشى مع أهوائهم وعواطفهم، وقد عبّر العلوي عن هذا الاعتقاد في جدوى خروج النحو من منطقه الأكاديمي ليعايش اللغة اليومية، فقد صرّح قائلا في مقدمة الكتاب "لقد كنت أشعر كل مرة وأنا خارج من الكلية أنني تارك نحوي فيها، أقصد روحي العلمية، فالنحو الذي نشرت فيه كتبا ومقالات وغير ذلك، بل وكتبت فيه قصصا منشورة، ودرّسته لأكثر من ثلاثين سنة، يكاد يكون ليس منّي رغم متابعته لي كظلي، فهو حبيس الجدران التعليمية، وهذا ضروري، غير أنه يأمل أن يواصل حياته، يسكن المدينة، ويرتاد الأسواق، ويمشي في الأزقة ويحادث المجتمع ويسأله مشاغله وهمومه". صفوة القول لقد أخرج العلوي النحو من بوتقة القواعد الصارمة والضوابط الملزمة إلى فضاء دراسة الظواهر المجتمعية، وهذه الفكرة تتنزل ضمن مشروع علمي بدأه بكتابه "النحو والسعادة". وهي محاولة تعبر عن هم أكاديمي وإنساني، حيث وضع صاحب "نحْو الشوارع" الكتابة الجدارية على مجهر البحث اللساني، لتخرج معه اللسانيات من مدرج الجامعة والواقع الأكاديمي وتلامس حياة الناس في الشارع، فتنصت إلى هدير اللغة عندهم.

وقد برز لنا الرهان الأساسي في هذا الكتاب متمثلا في كيفية إخضاع ظاهرة هامشية غير مقننة إلى علم قائم الذات، وهو علم النحو، وهو رهان نعتقد أنه صعب من زوايا متعددة، حيث نبدو وكأننا أمام تطويع للقوانين النحوية الصارمة لتضبط فوضى الكتابة الجدارية المتحررة من القيود والرقابة، أضف إلى ذلك أننا أمام ظاهرة استدعت من الكاتب ابتداع مصطلحات جديدة تضبطها، حيث نجد في الكتاب مصطلحا مهما وهو عصب التحليل، وهذا المصطلح "Grafmaire" أضف إليه مصطلحات من قبيل التناص، والتشبيه الجداري، الاستعارة الجدارية... إلخ.

لقد بعث هذا المصنف برسائل كثيرة إلى القراء، وأثار قضايا عديدة تستحق النظر والتمحيص، ولعل أهم ما يمكن أن نتفطن إليه في هذا السياق من القول أن ما يكتبه العوام على جدران الشوارع ليس مفارقا للواقع وللنحو، بل نحن إزاء كتابة تخضع إلى قوانين تحتاج من يستنطقها، وهذا الرأي يجرنا لاستحضار قضية العامية في البلدان العربية في علاقتها باللغة الفصيحة، حيث نرى أن الكتاب يؤكد على أن العامية ليست كائنا لغويا غريبا عن اللغة الفصيحة، وإنما هي سليلتها وتتكئ عليها في بناء صرحها ودلالتها.

وبخلاف هذا يلفت الكتاب النظر إلى أن البيئة الثقافية لها دور أساسي في صياغة المعطى اللغوي، فما تنتجه الذوات في الشوارع من لغة هو نتاج الواقع الثقافي والسياسي الذي تحياه. وهو بهذه الفكرة يقودنا إلى القول إن اللغة ليست منعزلة عن واقعها، فهي تتطور وتتعايش معه، بل وتنخرط في التأسيس والتقويض.

> العلوي أخرج في كتابه النحو من بوتقة القواعد الصارمة والضوابط الملزمة إلى فضاء دراسة الظواهر المجتمعية

لقد استطاع كتاب "نحو الشوارع" أن يسلط الضوء على قضية مهمة في الواقع العربي والتونسي على وجه التحديد، حيث رصدت عدسة صاحبه قضية هامشية وهي قضية الكتابة الجدارية، التي تحمل في مظانّها قضايا لغوية وثقافية، ولعل الأساسي في هذا كله أن اللغة ليست ملْك الفصيح ولا الجامعي ولا صاحب القلم الفياض، وإنما هي عون للجميع، فقط تنتظر من يقودها إلى الفعل والقول حتى تثور وتفصح، وهذا ما كشفته كتابة الجدران التي حررت اللغة من أبراجها العاجية الجامعية إلى فضاء الشوارع والناس لتصدح ببعض ما تريد العوام ولو بشكل خاص ونحو خاص.

وتبقى في النهاية الإشارة إلى أن أهمية هذا الكتاب وغيره من الكتب التي تبحث في لغة اليومي، ترتقي إلى مصاف الوثيقة التاريخية التي تحتاجها الأجيال القادمة في بلورة تاريخ خاص بها والاطلاع على منجزها، فنحن الآن نشهد طفرة لغوية وبلاغية، ولعل بلاغة الجمهور التي وضع أسسها الباحث عماد عبداللطيف تأتي في هذا السياق من موجة التجديد النحوي والبلاغي التي تحاول أن ترحل وتستدرج هذه العلوم لمحايثة اليومي وتنبيه القارئ والإنسان إلى جدوى العلوم وإحيائها عوض ركونها في تاريخ وماض لا يتحرك.

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

ملامح عرفانية في الأعمال القصصية لسمير الفيل

«دمى حزينة».. قصص معاصرة مليئة بالرموز والدلالات الصوفية

الأدب العرفاني هو الأدب القائم على المعرفة الباطنية، أو الصوفية، والزهد، والبعد عن الملذات الجسدية، أو الترفع عن عالم الجسد. و"الكتابة العرفانية تستحضر العلاقة بالماضي، لأن قراءة الماضي يجب أن تصدر عن حضور كامل حيث هو فتح لإمكانية المستقبل الكامن في كل ماض". وهذا ما نجده في قصص الكاتب المصري سمير الفيل.

أحمد فضل شبلول
كاتب مصري

إن فلسفة العرفان ترى أن الأمور الجزئية تدل على الكلية، فقطرة الماء تدل على المحيط. وحفنة القمح تدل على ما هو موجود في الصومعة.

يتوسل الأدب العرفاني بالآيات القرآنية، وما جاء في الكتب السماوية الأخرى، والأحاديث النبوية الشريفة، والأساطير والحكايات والتعاليم والحكم، والكتب المنفتحة على المعرفة الباطنية مثل "الفتوحات المكية" لمحيي الدين بن عربي، أو "المثنوي" لجلال الدين الرومي، وأعمال الحلاج والسهروردي والطوسي ورابعة العدوية وعمر ابن الفارض وذي النون المصري، والشبلي والبسطامي وسنائي وابن عطاء الله السكندري وغيرهم رغم الاختلافات بينهم.

ويعتبر الإنسان – بمعناه الأشمل الأعم – القاسم المشترك الأعظم في كل أعمال المتصوفة، وهو الميدان الرحب الذي تدور حوله التجربة الصوفية، واعتبارها تجربة شديدة الخصوصية بمصطلحاتها ومادتها.

«دمى حزينة» مجموعة قصصية مشتغلة بعناية ودقة في رصد الرموز الصوفية ودمجها في نصوص معاصرة بأساليب مختلفة

غير أن العبرة – بالنسبة للأعمال الأدبية في النهاية – تكون بكيفية توظيف واستثمار هذه المصادر والمراجع والالتماعات والواردات الإلهية، يستعملها الأديب عن طريق موهبته الأصيلة، أو الاستلهامات ومراقبة الأحوال، وذلك من خلال نصوص أدبية عصرية وشيقة وجذابة ومتماسكة فنيا.

وبالنظر إلى أعمال الكاتب المصري سمير الفيل القصصية، وخاصة مجموعته "دمى حزينة"، نجد أن الدمية للطفلة شيء غال عزيز المنال، لكنها بمجرد أن تكبر – تلك الطفلة – وتصير ولودا للأطفال "يبرد" حب الدمية القديم في قلبها، حسب تعبير أبوالمجد سنائي الغزنوي (أفغانستان 1080 – 1131م) في كتابه "حديقة الحقيقة" التي تعد أول منظومة صوفية.

رموز صوفية

في قصة "تلك الحواجز" نجد من يقول: "لو وصلت سالما فسوف يسمح لك بالعيش في واحة خضراء مع تسع من حور العين" (ص 9). وتتكرر عند الصوفية كلمات: الوصل والوصول والواصلون. يقول العامة "فلان ده واصل". والوصول – عند الصوفية – يبدأ عادة بخرق العادة، ثم الجذبة، ثم المناظر الجذبية التي يسمونها: الكشف، وقد يصل بعضهم إلى الجذبة بدون المرور بخرق العادة.

كما نجد في القصة عبارة "وخفافيش ظلت تطير فوق رأسي مباشرة لترتطم بشعري المهوش، وتعاود الارتفاع حتى ذابت في الظلمة" (ص 10).

والخفاش: عند جلال الدين الرومي (1207 – 1273) رمز لعابد الدنيا وظلمتها والبعيد عن عالم المعنى والساقط في هوى النفس. إن الخفاش لا يواجه الشمس، فكيف يواجه المريد شيخه؟ ومتى تتوارى الشمس بالحجاب أسفا على الخفاش؟ وفي قصة سمير الفيل لم نجد خفاشا واحدا، وإنما خفافيش، بصيغة الجمع.

وفي قصة "المعاطف الرمادية" – بالمجموعة التي سميت على اسم تلك القصة، واحتوت على 14 قصة قصيرة، نجد الضابط الذي "صعد السلم بخفة قرد، تحت جنح الظلام حيث لا عيون تراه سوى أعين الخفافيش التي كانت تطير في الحوش". (ص 36).

كما وجدنا رمز الماء في قصة "تلك الحواجز" من خلال قول المتسابق الوحيد: "أخرجت زمزميتي لأشرب جرعة ماء" (ص 10) والماء يرمز إلى وصال المحبوب الذي يفني نفسه في سبيله. أما عندما يختلط الماء بالصابون، فسنكون أمام رمزية أخرى للماء المخلوط بالذنوب التي يجب محوها ليعود الماء صافيا خاليا من أية شوائب.

وفي قصة "جرح النافذة" نجد الأرملة التي تنشر غسيلها على سطح العمارة، وتبقى بعض مياه مختلطة بالصابون في الطبق، فتنثرها دون جلبة على السطح، وسرعان ما تتشربه البلاطات القديمة، وتبقى على بعض الرغاوي. هذه الرغاوي ترمز للعلاقات السطحية التي يحلم بها الشاب الذي يعيش مع والدته الضريرة في حجرة على سطح العمارة، فتتمثل له الأرملة في خياله المنزلق إلى الشهوات، وعلى أرض السطح تصعد الرغاوي حاملة معها النزوات والشبهات. يقول السارد عن هذا الشاب: "خرج كالمسحور، متجها نحوها (نحو الأرملة). لم يستطع التفوه بكلمة، أمسك يدها بمنتهى اللطف، وقادها نحو باب الغرفة. وجمتْ للمفاجأة، سارت معه دون أن تنبس بحرف. لقاء غامض بلا ترتيب ولا استعداد ولا مواعيد" (ص 35).

أما الأم الضريرة، فكانت تسعل، تتقلب في فراشها. وتتساءل بصوت ضعيف كأنها تحدث نفسها: لماذا تأخرت الديوك عن الصياح؟ (ص 35) وصياح الديكة له دلالات صوفية في الحديث النبوي الشريف، فعن أبي هريْرة، أن النبي صلى الله عليْه وسلم قال: إذا سمعْتمْ صياح الديكة، فاسْألوا الله منْ فضْله، فإنها رأتْ ملكا".

والأم الضريرة لم تسمع صياح الديوك أو الديكة، فلقد تأخرت عن الصياح، ما يدل على أنه لن يكون هناك فضل من الله في تلك اللحظات الآثمة التي لم ترها الأم، ولكن يراها الله.

في قصة "تلك الحواجز" وجدنا الذئب الذي برز فجأة أثناء السباق، والذئب رمز آخر من رموز الشهوة والعدوان. حيث يقول المتسابق الوحيد: "في أحد المنحنيات الأخرى برز لي ذئب" (ص 11).

وقد اتخذ الكاتب الراحل سعد مكاوي (1916 – 1985) من الذئب معادلا موضوعيا في رواية "لا تسقني وحدي" ففي الوقت الذي يقتل فيه الذئب، يقتل وزير الحسبة في فراشه، حيث كان الذئب معادلا موضوعيا للوزير زياد، وزير الشهوات والمخدرات والفساد والنهب والسرقة.

ويصف لنا المتسابق الوحيد – في قصة سمير الفيل – كيف استطاع التغلب على الذئب رغم أنه لم يكن معه عصا، ويجهل لغة الذئاب. قال: "رأيت الشر يقفز من عينيه الشريرتين، فرفعت قبضتي استعدادا لنزال لم أسع إليه، ولم أضعه مرة في جدول أولوياتي" (ص 11).

وعلى الرغم من ذلك يجد المتسابق الحواجز تعلو أكثر من ذي قبل، فيتشبث بحجاب حافظ أعطته له أمه قبل موتها، لعله تميمة ضد الشهوات والمكاره، فيخرجه ويقبله ويضعه في قبضة يده وهو يجري. يقول: "اقتربت جدا من الأشجار التي بدأت تظهر، والفجر يوشك على الطلوع، والصبح كاد يتنفس" (ص 11).

إذن فهو كان يجري في عز الليل، والليل دائما حقل خصب للشهوات والمفاسد، لكنه ينتصر في طريقه بفضل عزيمته وحجاب والدته. ورغم هذا لا تزال عقبات السباق تتوالى. وفي عقبة جديدة يتذكر سيدنا الحسين، يقول: "تذكرت سيدي الحسين فدعوت بعلو حسي أن ييسر الله أمري. حينها بانت القبة الخضراء، وضعت كفي اليمنى على سور المقام" (ص 11).

ثم يعترضه تمساح بفكين مفتوحين عن آخرهما. يقول "تمساح ضخم لم أر له مثيلا. بدت حراشيفه خضراء بلون الماء الآسن. كان ينتظر قفزتي لأقع بين الفكين". لكن يد فتاة تجتذبه من الناحية اليسرى لا يعرفها، ولكنها تشبه خالته فاطمة عندما كانت في شبابها. ولاسم فاطمة دلالة صوفية أو عرفانية، فهي فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأم الحسن والحسين. وهناك "الفواطم من الصحابيات والفواطم من التابعيات والفواطم من الجاهليات"، فهو اسم له رصيد كبير في الوجدان العربي والإسلامي. وهو لم يأت عبثا في قصة "تلك الحواجز" لسمير الفيل.

لم تتفوه الفتاة بكلمة واحدة لكنها واجهت التمساح، وراحت تصنع إشارات دائرية بيديها حتى انسحب التمساح، محاطا بالرعب والخذلان.

الطبيعة ومفرداتها

في قصة "العفو" يدرك شخص القصة أنه يملك قدرة غريبة على العفو الذي يشمل الجناة والعصاة وأولاد الكلب. (ص 24).

وفي قصة "جرح النافذة" يصوب شخص القصة وجهه نحو السماء، بكلمات مبهمة يقول لنفسه: "كل في مدار". (ص 32) فيذكرنا بالآية القرآنية 33 في "سورة الأنبياء": "كل في فلك يسْبحون"، وليست كل أذن مهيئة لسماع تسبيح الجمادات التي تصل من اللامكان. كما يذكرنا برقصة "المولويه" الدائرية أو التي يدور فيها الراقص حركات دائرية حول المركز الرئيسي وهو الله. بينما الراقصة مفيدة في قصة "أصابعه النحيلة" (بمجموعة المعاطف الرمادية) تشعر أثناء رقصها بالخفة والارتقاء، فتكاد تصل للسماء نشوة ورقة (ص 43).

في قصة "دمى حزينة" (ص 65) يقول "الدنيا من يومها في خلل كبير". وهو ما يعتقده أهل الصوفية، لذا فإنهم يحاولون علاج هذ الخلل بالاتجاه – بكليتهم – نحو خالق هذه الدنيا.

في قصة "شرفة مليئة بالزهور" نجد الزوج يقول لزوجته بلهجة متبرمة، وهما في الغربة "الصلاة محلها القلب، لكنك لا تعلمين تلك الأسرار العلوية" (ص 87). أما الزوجة فهي تحب نور ربنا والنسيم الرقيق، ولا تنسى فروضها بل تقرنها بالنوافل لتضمن جنة عرضها السماوات والأرض. وعندما يدعوها زوجها إلى الفراش ترد بعنف: ليس قبل أن تصلي فرض ربنا. ثم تفتح النافذة وتضع المقشة بين ساقيها – كأنها البراق – وتبتهل إلى الله أن ينقذها من الخرس الذي أصاب بيتها. في لمح البصر طارت وعلت، مبتعدة عن البيت الذي لم تحبه مطلقا.

طارت، وتخففت من ثقل الأرض، كان شعرها مهوشا، وابتسامتها غريبة، وفيما هي في علوها، رفرف بالقرب منها طائر الكناري، وسمعت نبح كلب بأذنين متهدلتين. أشارت للمقشة الخشب – التي ترمز إلى البراق – أن تعلو أكثر وأكثر حتى إنها اخترقت السحاب واتجهت إلى جهة غير معلومة في أقصى السماء. لقد اغترفت الزوجة من خزانة الأسرار، في حين أن زوجها كان يتهمها بأنها لا تعلم تلك الأسرار العلوية، ويبدو أنه هو الذي كان لا يعلم عنها شيئا.

في قصة "الحزام الأسود" يقول السارد (ص 92) "الله مطلع على السرائر". ويقول الطفل صاحب العاشرة لأمه بعد أن ضربها زوجها "أن ربنا مسامح كريم". صدقته أمه فومضت الفرحة في وجهها، ومن الكراسة أطل العصفور وراح يزقزق.

وعن النور ومصدره تجيئ حوارية "ذلك الخشوع" (ص 98) حيث يسأل الفتى فتاته عن النور فتقول: "لا توجد للنور دلالة مستقلة. لنجرب. لا توجد وسيلة لقياس صحة التجريب. أهو نوع من اليأس؟ نعم، كل الناس يجربون ما عدا الأنبياء. لماذا؟

حتى لا يقعوا في الخطيئة".

ثم تقول في موضع آخر بالقصة (102): "ليس لحركاتي وسكناتي ارتباط بالدين، لكنه أمر يقترب من احترام الأسلاف".

وتمضي الحوارية على هذا النحو، لنصل إلى قول الفتاة: صدقني سيصل الدعاء للرب في الأعالي. لن يضل طريقه إلا..

سألها: إلا.. ماذا؟

إذا كنت غير معترف باستمرار النفس الحي الرباني عبر السنوات ليصل إليك أيها الحفيد.

وتقول له ناصحة: انسجم مع الإشارات الملهمة، وذوِّبْ ذاتك في طاقة الوجود الربانية المدهشة. حرر نفسك من الخوف والقلق وعدم اليقين.

ودائما الطبيعة ومفرداتها البديعة تلعب دورا مهما في رسم الأجواء الصوفية، وتشبه الورود والخضرة التي تنبت على ساحل جدول الغيب عند الصوفية بالأسرار الإلهية. وقد أهدى الكاتب مجموعته القصصية "دمى حزينة" "إلى زهرة التمر حنة. عطر وبهجة، ومساحة من الرقة الخالصة".

اما في قصة "محاولة لرسم مشهد خيالي" سنجد "حديقة واسعة تصطف على مشاياتها أشجار كثيفة الخضرة" (ص 15). ثم يقول شخص القصة "طفقت أراقب الطيور وهي تحط على الأشجار ثم ترفرف بأجنحتها وتعلو في الفضاء" (ص 15).

ونجد السارد في قصة "مواسم" يقول (ص 113): اتخذت طريقا لا يسير فيه أحد، طريقا يفضي إلى ممر معشوشب بحشائش زاهية الخضرة.

في قصة "قمع سكر" نجد تلاوة الشيخ عبدالباسط عبدالصمد (ص 121). بينما نجد في قصة "سبعة تصورات لوردة" عثمان – مكوجي الحارة – الذي ابتلاه الله بداء الحب، (ص 129) فيخرج كل مساء ليشتري عقدا من الفل، وبداخله وردة قرنفل بيضاء، يحملها بيده ثم يندفع في الغناء، كما نجد بطرس ملاك الذي يذهب يوم أحد إلى الكنيسة ويدس خطابه في فتحة صندوق، وفي الورقة كتب بخط منمق، دقيق: "يا سيدة مريم، يا رقيقة القلب، امنحيني شقة. 3 حجرات وصالة"، ورغم أنه طلب دنيوي، لكن طريقة الطلب نفسها، تعد طريقة عرفانية. مثل الذي يطلب من الله أن يرزقه بمبلغ مالي كبير.

وفي القصة نفسها المقسمة إلى مجموعة أقاصيص قصيرة جدا نجد عبارة عرفانية تقول: "الله يرزق الدود في الحجر".

لكل حكاية رمز عرفاني (لوحة للفنانة رحاب بيطار)

كما نجد فرغلي الجامد يشعر بنفسه خفيفا، يصعد للسماء السابعة، يجوس بين جنائن مزهوة بالخضرة، وابنه سعد الذي مات العام قبل الماضي يمسكه بيده ويجلسه على أرائك من حرير، ويروح للحوض الرخامي ويقطف من حوله وردة نرجس، كي يقربها من أنفه. وهو ينكر أن هذا حلم قائلا: لا، ليس حلما، ولكنه شيء يحدث فعلا.

وعندما يرى مخيمر الحلاق كيف تحولت الوردة من اللون الأبيض إلى اللون الأحمر يقسم لصديقه أحمد الكسار أنه رأى الوردة وهي تتحول إلى هذا اللون، فعرف أن ربنا قد أنقذه من مصيبة أكبر: الزواج.

إن روح شريفة الدياسطي في قصة "ذهبت إلى البحر" تريد رؤية الزرقة المهيبة فقط، والتمدد على كرسي البحر ورؤية الأمواج وهي تمنح الجالسين وشيشا مضمخا بالرقة والصفاء. (ص 177). وكأن البحر هنا مجلى الروح ومن خلال البحر تتحدى شريفة الدياسطي زوجها الذي منعها من الذهاب إلى البحر، فتذهب وتحلق روحها من خلال مياهه وازرقاقه، وعندما تعود من البحر قبل عودة زوجها العربي سحتوت في يوم أخذت فيه إجازة من عملها، يقول السارد: حين سمعتْ صوت قدميه تدقان السلم كاد يغشى عليها. تماسكتْ وحين دفع الباب بقدمه، آمرا إياها بتجهيز طعام الغداء، لم تدر بنفسها إلا وصوتها يعلو مجلجلا، بلا انكسار أو وجل: "أنا ذهبت إلى البحر".

لقد ضحت شريفة بالوجود المادي المتمثل في وجودها مع زوجها وطاعته وإعداد الطعام له عند عودته من العمل، في سبيل الوجود الروحي أو المعنوي المتمثل في جلوسها عند البحر.

دلالات روحية

ومن مقامات الصوفية مقام الصبر، وهم يميلون إلى تفضيل الصبر على الشكر، فالصبر حال البلاء، والشكر حال النعمة، والبلاء أفضل لأنه على النفس أشق. وعند جلال الدين الرومي أن البلاء هو إنضاج للإنسان وتسام به وتربية لوجوده.

ويقول الشبلي (من الخفيف): صابر الصبر فاستغاث به الصبْ/ ر فصاح المحب بالصبر صبرا.

وفي قصة "جرح النافذة" نجد عبارة "ربنا يطرح البركة في الشيء الحلال"، وتقول الأم: "دع الملك للمالك" (ص 35).

يهدي سمير الفيل مجموعته القصصية "المعاطف الرمادية" – الصادرة عام 2021 عن دار غراب للنشر والتوزيع بالقاهرة – "إلى الموجوعين في الأرض.. الباحثين عن كوة ضوء تأتي من مكان بعيد.. الذين يتطلعون لرقعة السماء الزرقاء.. ربما تمنحهم تلك النصوص بعضا من الصفاء.. قليل من الزرقة: البحر، الحبر، زهرة الغسيل". ولعل هذا الإهداء يقصد المتصوفة والعرفانيين أو حتى الناس العاديين الباحثين عن كوة ضوء تأتي مكان بعيد، إنهم يبحثون عن وجه الله ونوره ويبحثون عن الصفاء والضياء في ظلمة الحياة.

وفي قصة "السأم" نجد في البيت القديم "خيوط العنكبوت تتدلى من السقف" (ص 7)

والعنكبوت – كما ذكرنا من قبل – يشير إلى أهل الدنيا عند المتصوفة، وكانت الكوابيس تلاحق صاحب البيت الذي باع بيته وكانت الثعابين تزحف كل ليلة، وتضع السم في جسده. والثعابين بسبب سمها وشرها فإنها ترمز إلى جانب الطبيعة الشرير. وفي بعض التصورات أن الحية هي التي أوحت لحواء بالأكل من شجرة الحياة ليتم طردها – مع آدم – من الجنة.

التصورات الشعبية والمعتقدات الدينية والمشاعر العرفانية الصوفية تتواشج في أعمال سمير الفيل القصصية

وفي قصة "رائحة العطر" يظهر رمز الغزالة في قول شخص القصة: "في نصف ثانية نطت غزالة برية، ومرقت من الستارة الملونة، جرت ناحية غرفة النوم". (ص 15) وللغزالة رصيد كبير في عالم المتصوفة، وخاصة غزالة السهروردي رمز الروح الملائكية الشفيفة. وهناك الغزالة التي تحدثت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتذكر كوكب في قصة "جيران كوكب" (بمجموعة المعاطف الرمادية) "أن الحرام، لا تفعله، لوجود رب كريم يطلع على أفعال العباد، ويحصي دقات قلوبهم". (ص58).

وكما رأينا فهناك تصورات شعبية، ومعتقدات دينية، وآيات قرآنية، ومشاعر عرفانية صوفية، تتواشج في الكثير من الأعمال القصصية لسمير الفيل، ولعلها كانت أكثر حضورا في مجموعته الأخيرة "دمى حزينة" عن مجموعته قبل الأخيرة "المعاطف الرمادية" ما يؤكد أن الكاتب كلما تقدم في السن، كثرتْ عنده تلك الملامح العرفانية، وكان أقرب إلى الله، وإلى الفكر الصوفي أو العرفاني من مراحل سابقة في مراحل إبداعه. ولعل الأمر يحتاج إلى وقفات كثيرة مع أعمال سردية وشعرية لعدد كبير من المبدعين نرصد من خلالها تطور تلك العرفانية، ونكشف أسرار وجودها في تلك الأعمال.

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

100 عام على السريالية.. كثير من الجنون والابتكار

من التكعيبية إلى السريالية تحطيم الاعتيادي في لغة التصور التشكيلي

المتأمل في حركة الفنون والآداب الحديثة سيقف حتما عند واحدة من أكثر الحركات غرابة وإثارة للجدل، الحركة السريالية، سواء في الأدب أو الفنون التشكيلية، حركة منحت الكتاب والفنانين مساحات شاسعة من الانطلاق دون قيود، وواجهت بشجاعة فكرية ونفسية وجمالية الواقع والتاريخ البشري والمعتاد وحتى حدود الإنسان ذاته، لخلق واحدة من أهم الثورات في تاريخ الفن.

بشرى بن فاطمة
كاتبة وباحثة تونسية اختصاص فنون بصرية

يحتفل العالم بمرور 100 عام على السريالية منذ أن بدأ تداول المصطلح سنة 1924 كتيار أدبي فني في باريس مع أندريه بريتون. وهو ما شكل هذا العام حدثا استعاديا برمجت فيه المؤسسات الثقافية والفنية في العالم وفي فرنسا بالخصوص برامج متنوعة بين التاريخي والحداثي والمعاصر حتى تحتفي بالسريالية التيار والانتماء مثل مركز بومبيدو الذي خصها بمعارض استثنائية من سبتمبر 2024 إلى يناير العام القادم.

> المدرسة السريالية ظهرت وازدهرت منتصف القرن العشرين كتصور للفن يعبر عن التمازج الفلسفي والحسي

ويركز المعرض على مدى تأثير السريالية على تطوير الفنون لأبرز الفنانين والمتأثرين والشعراء على غرار بودلير ورامبو لتركيز بداياتها، ودرجات تأثرها بدورها في شمولية اللغة الثقافية التي تحولت بها أبعد في العمق الإنساني النفسي الخيالي الحسي والذهني واختلطت مع أوعية التعبير وتفاصيل التماس الإبداعي والابتكار الخيالي المجنح أبعد بها في أروقة وثنايا الإبداع الإنساني.

البدايات خيال حر

استقلال الخيال هو المبدأ الأول الذي انطلقت منه السريالية منذ أن أعلن شارل بودلير أن ذلك الاستقلال هو الفكرة الصادقة في العمل الفني كأن يتبع الفنان خياله بكل شغف وأن يضفي على الشغف الألم وهو ليس ألما واقعيا معيشا بل هو ألم القلق والحيرة ألم العمق الإنساني الداخلي الدخيل المؤثر المخفي بين ثنايا الملموس المقصود.

وكتب الباحث حسنين محمد علي "وما من كاتب سريالي بلغ ببطولته الحد الذي بلغته بطولة بودلير الخارقة التي هي أبرز مميزات شخصيته، إلا أن السرياليين استخدموا نهج بطولته وطقوسها وقلدوها فقد كان اكتشاف بودلير لذاته في عذابها، وكشفه عنها في كتاباته مثالا نموذجيا".

وأضاف "الفنانون الذين اتبعوه، والسرياليون خاصة، كرروا نهجه كأنما هو سر ديني، معتقدين أنهم سيتمكنون من بلوغ السر إذا ما مارسوا بدقة جميع مظاهره الطقوسية. وكل أدب هو إلى حد ما، تحليل للنفس، وقد بلغ تعمق بودلير في كشفه القائم على التحليل درجة تجاوز معها حدود التذكر الشخصي إلى الكوني. فتلك اللحظة التي يبلغ فيها الشاعر محور ذاته، وبالتالي محور المصير البشري، أن يشارك في وعي العالم ويوجد نقطة تماس بين ذاته والعالم، تلك اللحظة هي اللحظة السريالية العظمى".

فكيف تأثرت السريالية بالفنون الأخرى؟ وكيف أثرت عليها؟ وما هي منطلقات التماس الأساسية بينها وبين التكعيبية؟

كثيرا ما اقترن التأريخ للحركة السريالية انطلاقا من التكعيبية مرورا بالدادائية باعتبار أن الانحدار منها هو الذي كثف الغرابة التعبيرية في سلسلة المفاهيم وتداخل الرمزيات والعلامات الغرائبية التي تمكنت عبر السريالية من الانفلات أبعد في الصورة، وهو ما أتاح للفنانين في مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة الانعتاق بالمفاهيم واستيعاب النضج العلمي والتقني للتعبير عن الواقع المتطرف والمبالغ في أحداثه مع المكان والإنسان والانتماء إلى الفكرة التي تكون العلاقة بينهما.

رغم أن بعض النقاد في تعبيرهم يرون في التكعيبية والسريالية وجه الحداثة المشوه وأثرا نفسيا للتمرد الفلسفي وحكمة الفوضى وإفرازات الحروب، خاصة وأنها تؤسس لجماليات غير مألوفة وصور ما ورائية تثير صورة القبح فيها من الانفعالات والتوترات باعتبارها جزئياتها النفسية، إلا أن القراءة الجمالية وهندسة الشكل وتفكيك الصور والملامح والأمكنة ومعالجة الفراغ والحجم والأبعاد وتفتيت الدوافع النفسية والوجودية استدعت المقارنة والبحث في خصوصية كل أسلوب ونقاط التشابه والاختلاف الجمالي فيه ومنه وإليه وبالخصوص ذاكرة الانتماء وتوظيفاتها الرمزية من خلال الذات والإنسانية.

التكعيبية تمهيدا للسريالية

ظهرت المدرسة التكعيبية في بداية القرن الماضي وقد أطلق الناقد الفني الفرنسي لويس فوكسيل هذا المصطلح عليها باعتبار كل الأشكال الطبيعية والتي تأخذ مكان الملامح العادية والمألوفة تتشكل مثل المكعبات، وترتكز على الأشكال الهندسية لإنجاز العمل الفني، فالهندسة هي أصل الأجسام، ولعل التوافق الترتيبي والمرحلي في تكوين التصورات الجمالية للتكعيبية أكسبها الموقف الجمالي والمفاهيمي من الفن والإنسان ومن الواقع خصوصا، من

> حركة تؤسس لجماليات غير مألوفة وصور ما ورائية تثير صورة القبح فيها من الانفعالات والتوترات باعتبارها جزئياتها النفسية

خلال التنقل من التكعيبية إلى التحليلية والتركيبية وهنا كانت الصياغات مختلفة بعض الشيء في الخطوط والخامات في التوظيف المباشر والإثارة وقد خلدت التكعيبية أعمالا إنسانية مميزة أبرزها أعمال بيكاسو.

فمن خلال الرموز والأشكال والخطوط وانكساراتها كان التعبير عن الحالات ومزاج العنف والهدوء والوجود والبقاء والعبث في تصنيفات الواقع واحتمالاته وهو ما خلدها كمدرسة فنية تمكنت من أن تفتح منفذا تعبيريا للفنانين للابتكار خصوصا والاشتغال على الكتل بعبقرية الهندسة والتشكيل كمنافذ ازدواجية وتكاملية، فهي كأسلوب تعبير قد يبدو محاصرا في قوالبه إلا أن فيها مرونة وتشكلا وتفردا استطاع أن يعبر عن الإنسانية، عن التصور الأبعد في الخيال بين المادة والفكرة في المكان والكون كجزء وانتماء شكل العواطف في تصورات مشحونة بالتلاشي والحضور.

وقد استمرت التكعيبية في نماذجها المعاصرة معبرة عن المواقف الإنسانية بين التشيؤ والمادة والمبالغة في أنسنة الشكل وأدلجة الحواس وتوظيف الذاكرة مع اللون ومحاورتها بشكل عقلاني صارم والتجادل والاندفاع والجدية.

أما المدرسة السريالية فقد ظهرت وازدهرت في منتصف وأواخر القرن العشرين كتصور حديث للفن يعبر عن التمازج الفلسفي والحسي الشعوري بشكل تلقائي، يتعمد التوظيف النفسي والعامل اللاواعي حيث يطلق العنان للخيال والحلم لمحاكاة المواقف الفنية والتعبير من خلالها بجنون وفوضى وتصورات تتفوق حتى على الخيال لتلامس بجنونها اللامعقول في الصور واللون والحركة والرمز، وهو التماس التوظيفي بينها وبين التكعيبية بوصف درجاتها المعقولة واللامعقولة.

فهي تعبر بشكل متداخل عن الحالات والمزاج والكوابيس الواقعية، كما تعبر كحركة عن فلسفة بصرية وجودية وعما يختلج الإنسانية. تعبيرها سخرية من واقع مشحون بالفروقات والأحداث بالصخب والدمار والحروب والتفكك الاجتماعي، بالفلسفة وعلاقة الفرد بالمجموعة بالقلق والحيرة والخوف والتداعيات الباحثة عن منافذها في الكون.

ورغم أن كلا الأسلوبين له منطقه التوظيفي للمفاهيم والخامات والمواقف إلا أن المراحل التي اختلفت في الظهور وتدرجت في الفهم والقراءة سواء للتكعيبية أو السريالية جعلت الأولى تمهيدا للثانية، بحيث جمعتها كأسلوب في المراحل المعاصرة ما خلق علاقة من التشابه الذهني بين الصورة وتلقيها أخرجتها بمستوى فني من تلك الصورة المعتادة كلاسيكيا على قيمها وأشكالها وكتلها ومثالية تصوراتها وموازينها إلى المفهوم الخارق للعادة التشكيلية والجمالية ومن منطلق الإفهام إلى القراءة الماورائية.

تميز الأسلوبان بالحرية والحركة بمراوغة الفراغات والكتل والمساحات وأوزانها وتداعيات انفعالاتها أخرجت المتلقي من حركة المشاهد المألوفة إلى الصور الجديدة التي وسعت الخيال وحررت الموقف الذهني والعاطفي من الوجود والإنسان والواقع والقضايا والفن بالانطلاق الحر بالحركة والتدفق المنساب بالتعبير.

استطاع الأسلوبان أن يحطما الاعتيادي في لغة التصور التشكيلي وتجريد مستويات القراءة والترتيب والتجرد من قيمها نحو بناء قيم جديدة وهو ما فعلته التكعيبية، أما السريالية فقد حطمت الواقع وبالغت في مستوى رؤاه البصرية النفسية والانفعالية وحذفت من المعتاد ألفته وشكلت فيه هواجس وكوابيس أصبحت لها دلالة ومعنى ورمزية وقراءة.

إن تصور الأعمال التي جردت الصور من وظيفتها وأنسنتها في الكون تجلى نتيجة التطورات التقنية والعلمية وحركتها الابتكارية التي استلهمتها من التقنيات مثل المكبر والأحجام الميكروسكوبية والتطور الزخرفي والهندسي والانفتاح على الثقافات الآسيوية والأفريقية وفنونها، والسريالية بدورها تطورت بتطور علوم الإنسان وفلسفة الوجود وعلم النفس وهو ما يفسر انسياق رواد التكعيبية في تجريب السريالية باعتبار الترابط الفكري بين التيارين ومرونة التجريب.

فالتكعيبية ترتبط بالأرض كمركز أما السريالية فهي تحليق لا مكاني في فضاء ممتد من الذاكرة إلى الحلم فالفكرة ثم المنجز.

استقلال الخيال هو المبدأ الأول

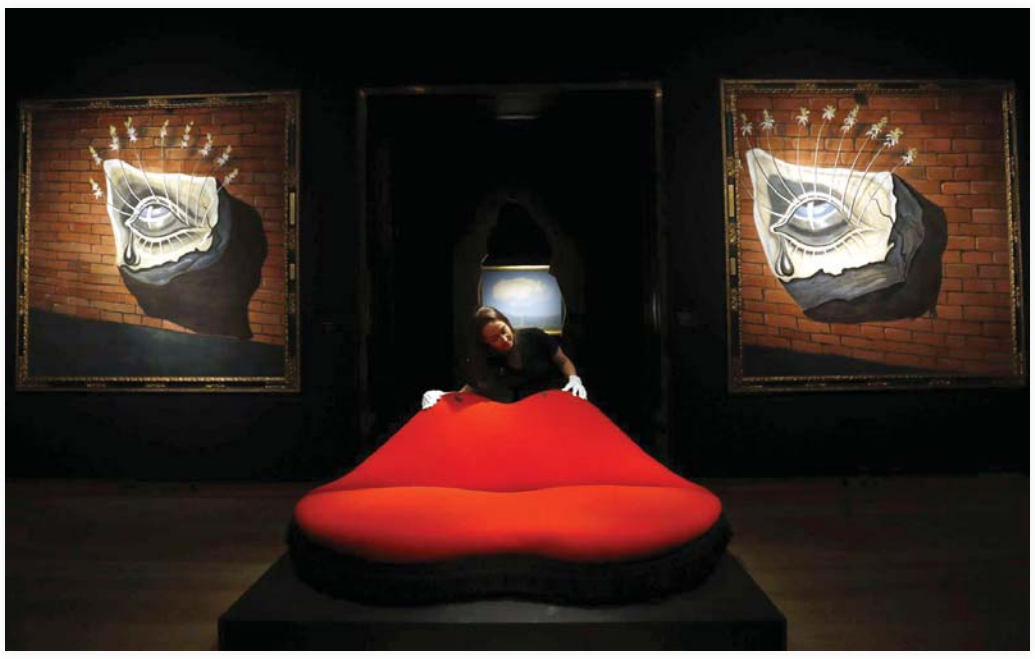

أنسنة الشكل وأدلجة الحواس

وقد استطاعت السريالية أن تشكل شهرتها البصرية مداها المختلف وملاذها الحسي كما تفاعل فيها سلفادور دالي، شريكو، ماكس إرنست وريني ماغريت، ليصبح كل منهم له مرجعياته وتفاصيله الغارقة في تفسير جنون العالم والإنسان.

السريالية بين عالمين

في المراحل المعاصرة نجد بعض الأعمال الملفتة في مراحلها المختلفة والتي خلقت لها مسارا جماليا وموقفا من الواقع والقضايا والإنسانية والتي استطاعت أن توافق بين العنصرين التقريبيين في تصور التكعيبية والسريالية من حيث مبدأ التواصل التشكيلي بين المادي والنفسي في تفتيت الوجود، مثل تجربة الإسباني خوان جري أو تجربة الفلسطيني صالح أبوشندي في تصورات التكعيبية وانتقالات التكعيبية والتجريب التعبيري السريالي والتجريدي وتصورات الواقع والوجودية والهوية والانتماء بين واقعين وزمنين مختلفين.

> السريالية تطورت بتطور علوم الإنسان وفلسفة الوجود وعلم النفس وهو ما يفسر انسياق رواد التكعيبية في تجريبها

أما في السريالية فنجد التجربة المبالغة في السريالية المركزة على التصور الإنساني في أعمال الألماني بول فاندرليشت والفلسطيني عدنان يحي في ملامحها الواقعية وفي نفس الوقت المثيرة للغرابة والسخرية والمعاناة والصبر بين احتمالات البقاء والموت بكآباتها التي تحاكي رغم إفراطها التشكل الكابوسي مع الواقع.

إن الأسلوبين يشكلان عالما من الغرابة حدوثه الجمالي اللامعقول يبدو موزونا في تداخلاته وتأثيراته، ولكنه استطاع التحرر والتنقل واستفزاز التساؤلات وترويض القراءات وتمازج المعاني، فمن اختار التجريب في التكعيبية أو السريالية تمكن من أن يبسط فكرته بتطرف حضورها دون أن يبترها ولا أن يستنقص من حواسه، ولا أن يخون قاعدة التشكل البصري والإثارة الذهنية، فرغم اختلاف الواقع الغربي مثلا والشرقي بقضاياه وأحداثه كان التجريب فيها متوافقا ومعبرا، ورغم الفارق تمكن بعض الفنانين العرب من اكتساب البصمة والخصوصية والانتماء والتجلي، فلم يقع المنجز في المبالغة والتقليد بل كان متجليا بذاكرة أمكنته وروح انتمائه.

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

«صوت الحرية».. صرخة شجاعة ضد أبشع جرائم العصر

فيلم يسلط الضوء على تجارة الأطفال لأغراض جنسية

بإمكان السينما اقتحام أكثر القضايا الإنسانية إثارة للألم واستعادتها لتذكيرنا بشكل صادم بجرائم لا تصدق، ومن هذه الجرائم التجارة بالأطفال جنسيا، وهي سرطان عالمي، وقضية تحتاج إلى مناقشات جادة لأن أصابع الاتهام تثار ضد مختلف الفئات الاجتماعية، وقد لا ينتبه الكثيرون لخطورتها لكن ذلك كله يتغير بعد مشاهدة فيلم "صوت الحرية".

علي المسعود
كاتب عراقي

تعتبر إساءة معاملة البشر وتهريبهم والاتجار بهم من المواضيع الحساسة للغاية، وظاهرة تجارة الأطفال من أخطر الظواهر التي انتشرت بشكل مخيف على المستوى العالمي في السنوات الأخيرة، وخاصة مع انتشار الفقر والجوع والكوارث الطبيعية.

وتطرقت العديد من الأفلام إلى هذا الموضوع بطريقة سطحية، بينما يحاول البعض الآخر شرح كيفية تطوره وكيف تمكنت صناعة إجرامية رهيبة من هذا النوع من النمو. على الرغم من أن السينما يمكن ويجب أن تكون بمثابة ترفيه خالص، إلا أنها تعمل أيضا على إرسال رسائل مهمة والتعامل مع القضايا ذات الصلة بالمجتمع. وفي العام الماضي، أثار فيلم "صوت الحرية" نقاشا حول هذه الأزمة، لأن بناءه كان على أحداث حقيقية.

مهمة سرية

فيلم "صوت الحرية" يدق ناقوس الخطر في ما يخص خطورة الشبكات الإجرامية الدولية لتجارة البشر وبالتحديد الأطفال. الفيلم من إخراج أليخاندرو مونتيفيردي ومستوحى من القصة الحقيقية لتيموثي بالارد (عميل وزارة الأمن الداخلي الأميركي)، بالارد (يؤدي دوره جيم كافيزيل) يخاطر بكل شيء لإنقاذ الأطفال المختطفين من عصابة كولومبية للاتّجار بالجنس.

> الفيلم يفضح بشجاعة واحدة من أشد الجرائم وحشية وقسوة في عصرنا الحالي تستوجب الوقوف أمامها ومواجهتها

افتتاحية الفيلم من الهندوراس في منزل متواضع لعائلة أغيلار في المكان الذي يعيش فيه أب أعزب يدعى روبرتو أغيلار (يلعبه خوسيه زونيغا) مع طفليه: الابنة روسيو أغيلار (تلعب دورها كريستال أباريسيو) تبلغ من العمر حوالي 11 عاما، بينما يبلغ عمر الابن ميغيل أغيلار (لوكاس أفيلا) 8 سنوات.

يبدأ الفيلم بفتح روسيو الباب أمام امرأة تقدم نفسها على أنها عارضة أزياء تدعى جيزيل (يسيكا بوروتو بيريمان) وكشافة للمواهب. محادثتها مع العائلة تشير إلى أنها اقتربت من العائلة، وعندما رأت روسيو تغني في السوق. وصلت جيزيل إلى المنزل لتأخذ الأطفال إلى المكان الذي تقول إن الاختبارات تجرى فيه لمسابقة عرض الأزياء التي يمكن أن تجعل الطفلة روسيو مشهورة.

الأب روبرتو رجل بسيط ولم يكن نبيها كي يلاحظ بعض علامات التحذير عند وصوله إلى مكان الاختبار، وهو عبارة عن فندق مظلم وقذر، وعندما يصلون إلى مكان الاختبارات تخبره جيزيل روبرتو أنه لا يستطيع الدخول إلى غرفة الاختبارات لأنه لا يسمح للوالدين بذلك. وعليه العودة مساء لاستلام الأبناء. روبرتو يلتزم عن طيب خاطر ويترك روسيو وميغيل مع جيزيل. إنه خطأ كبير يؤدي إلى كابوس مفجع للعائلة. تمرر جيزيل تمثيلية الاختبار وتقوم بالحركات مع 10 إلى 15 طفلا مجتمعين في الغرفة. جميع الأطفال تقل أعمارهم عن 16 عاما.

يتم تصوير الأطفال في العديد من الأوضاع، ولا يمضي وقت طويل بعد جلسات التصوير هذه حتى تبدأ رحلة الرعب لهؤلاء الأطفال الأبرياء. يتم اختطافهم وإلقاؤهم في شاحنة صغيرة ونقلهم إلى مستودع بعيد، حيث يختار أحد المتحرشين بالأطفال (البيدوفيليا) الطفلة روسيو للشراء من أجل الاستعباد الجنسي. تحارب روسيو من أجل أخيها ميغيل وعدم تركه وراءها، لكن في النهاية تجبر على الافتراق عن أخيها الصغير. لاحقا سيعاني ميغيل قريبا من نفس مصير بيعه في سوق الاستعباد الجنسي.

في الوقت نفسه، نتعرف على العميل الخاص لوزارة الأمن الداخلي يدعى تيموثي تيم بالارد ويعمل في وحدة الاتجار بالجنس. وظيفته هي القبض على الرجال الشاذين والمتورطين في الاتجار الجنسي بالأطفال، ويغوص في قضية تتعلق باختطاف الأشقاء روسيو (كريستال أباريسيو) وميغيل (لوكاس أفيلا) من قبل المتاجرين بالأطفال الذين يتظاهرون بأنهم مكتشفو مواهب. يقنع رئيسه (كورت فولر) بإرساله في عملية إلى كولومبيا، حيث ينوي إنشاء فندق مزيف يجذب المتحرشين بالأطفال من الأثرياء.

يتعاون بالارد مع المغترب الأميركي باتمان (بيل كامب)، ويسافر إلى كولومبيا حيث يجنّد العديد من الحلفاء لإنشاء عملية سرية بهدف إنقاذ العشرات من الأطفال. بعد القبض على الرجل المنحرف أوشينسكي (الذي يلعبه كريس أفيديسيان)، يتظاهر تيم بأنه شاذ جنسيا كي يقترب تيم من أوشينسكي في السجن ويوهمه أن لديهم نفس اهتمامات الاستغلال الجنسي للأطفال، وأنه يمكنه مساعدته في الحصول على عقوبة أكثر تساهلا.

في البداية، يشك المتحرش (أوشينسكي) بالعميل بالارد، لكن تيم ينجح في كسب ثقة أوشينسكي من أجل الكشف عن معلومات حول شبكة الاستغلال الجنسي للأطفال السرية التي كان أوشينسكي جزءا منها والتي لا تزال تعمل. تنجح الخطة مع المزيد من المعلومات عن الشبكة الخاصة بتهريب الأطفال وسرقتهم من ذويهم واستغلالهم جنسيا، لم يمض وقت طويل قبل أن يكتشف العميل تيم عن الأشقاء المختطفين والمنفصلين ميغيل وروسيو.

يعثر تيم على الطفل ميغيل أولا، بعد أن تم ضبط أحد المتحرشين يحاول أخذ الطفل عبر الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك والتظاهر بأن الطفل ميغيل ابن أخيه الذي تغيير اسمه إلى تيدي بير وأمره بإخبار الناس باسمه المستعار إذا سأل الناس ميغيل عن اسمه بعد تهديده بقتل شقيقته.

عندما يرى ميغيل العميل بالارد يثق به لأنه رجل قانون ويخبره باسمه الحقيقي. تأثر بالارد بشدة بميغيل وأخذه إلى العشاء، حيث يروي ميغيل بقية قصته عن اختطافه مع أخته ورغبته في العثور عليها. يبدأ الطفل ميغيل في الانفتاح على العميل بالارد، يشير إلى قلادة صغيرة أعطته إياها شقيقته روسيو قبل افتراقهما، ويراها الطفل ميغيل أنها علامة لوثوق أخته به، لذلك يعطي هذه القلادة إلى بالارد ويطلب منه إعطاءها لروسيو إذا وجدها. سرعان ما يجتمع ميغيل مع والده روبرتو الذي يشعر بالامتنان لأنه تم العثور على ميغيل، ولكنه مصدوم بسبب ما عاشه أطفاله واستمرار فقدان روسيو.

قصة حقيقية

يتعهد بالارد بالمساعدة في العثور على أخته روسيو واعتقال الأشخاص المتورطين في استعبادها الجنسي ولمّ شملها مع عائلتها. تستكمل بقية حكاية فيلم "صوت الحرية" عندما يكتشف بالارد أن روسيو محتجزة في كولومبيا. في البداية، حصل على الضوء الأخضر على مضض من المشرف جون براينت (الذي يلعب دوره كورت فولر)، الذي يؤكد على العميل بالارد بضرورة التركيز الرئيسي على القبض على الشواذ والمنحرفين جنسيا وليس المجازفة والسفر إلى كولومبيا لإنقاذ الأطفال ضحايا الاتجار بالجنس.

سئم بالارد من البيروقراطية واستقال على الفور وبدأ العمل بطريقة أخرى لإنقاذ روسيو قبل فوات الأوان، يقرر ترك وظيفته في الأمن الداخلي للتركيز على إنقاذ ضحايا الاتجار بالجنس. ويسافر في عمق الغابة الكولومبية، ويضع حياته على المحك لتحرير الطفلة من مصير أسوأ من الموت.

يقوم بالارد ببعض الاتصالات التي تساعده على التسلل إلى هذه الشبكات المنحرفة. يلتقي برجل في منتصف العمر بول (إدواردو فيراستيغي) يصبح حليفه، الذي يتظاهر بأنه ثري شاذ جنسيا يريد بناء فندق سيكون واجهة لتجارة الجنس. بعد إنقاذ مجموعة من الأطفال من مهربي الأطفال عديمي الرحمة، لكن الطفلة الذي كان بالارد يبحث عنها لم تكن من بين الـ50 الذين تم إنقاذهم، ويعلم العميل الفيدرالي أن أخت الصبي لا تزال أسيرة ويقرر الشروع في مهمة خطيرة لإنقاذها.

مع نفاد الوقت، يتعقبها إلى قرطاجنة في كولومبيا حيث يتعاون مع ضابط شرطة محلي يدعى خورخي (خافيير جودينو) وهو متعاون سابق مع الكارتل يسعى للتكفير عن خطاياه الماضية. يتظاهر بالارد تماما كطبيب مع برّاد مليء باللقاحات ضد مرض الكوليرا كي يتمكن من الدخول إلى المستعمرة المحصنة من قبل رجال العصابات. وصدم مما وجده هناك، مستعمرة العبيد في العصر الحديث حيث يحصد البالغون والأطفال أوراق الكوكا، وباستخدام أقدامهم العارية يسحقون الأوراق إلى عجينة الكوكايين. يجد أخيرا طفلته المستهدفة ويقتل المعتدي عليها وهو زعيم المتمردين. ويحررها من عبوديتها وينجح في لمّ شمل العائلة وإعادة الطفلة إلى أهلها.

يكشف لنا فيلم "صوت الحرية" عن حقيقة لا يمكننا تجاهلها وهي الاتجار الجنسي بالأطفال القصّر. وصرح المخرج مونتيفيردي البالغ من العمر 45 عاما، الذي هاجر إلى الولايات المتحدة من المكسيك عندما كان مراهقا، أنه في عام 2015 لم يكن على علم بآفة الاتجار الجنسي بالأطفال، حتى شاهد مقطعا إخباريا على الشبكة حول هذا الموضوع، يقول "ما عرفته هزّ روحي لأنني لم أصدق حقا وجوده".

بعد فترة وجيزة، التقى منتج الفيلم إدواردو فيراستيغي بتيم بالارد وهو عميل خاص سابق لوزارة الأمن الداخلي، وتحول المشروع إلى قصة تستند إلى عمل بالارد عندما تم تعيينه في فرقة العمل المعنية بجرائم الإنترنت ضد الأطفال وتم نشره كعميل سري لكشف "السياحة الجنسية للأطفال" في الولايات المتحدة.

وقع الاختيار على الممثل جيم كافيزيل لأداء دور (بالارد) الذي اشتهر بتجسيده لشخصية المسيح في فيلم "آلام المسيح" لميل غيبسون عام 2004، وهو معروف بتديّنه الشديد، وشاركه في التمثيل ميرا سورفينو وبيل كامب وخوسيه زونيغا وفيراستيغي. ومع ذلك، فإن النجوم الحقيقيين للفيلم هم الثنائي

> قصة حقيقية وقضية إنسانية تقشعر لها الأبدان وهي التجارة بالأطفال من مجرمين يتظاهرون بأنهم مكتشفو مواهب

مستعمرة العبيد في العصر الحديث

فضح شبكات إجرامية تتاجر بالأطفال

رسالة صادقة وشجاعة

يقدم فيلم "صوت الحرية" سردا حقيقياً لحكاية تدور حول مكافحة الاتجار بالأطفال بقيادة مسؤول الأمن الداخلي السابق تيم بالارد الذي ترك وظيفته في الحياة الواقعية كوكيل لوزارة الأمن الداخلي في عام 2013، وأسس عملية السكك الحديد تحت الأرض، وهي منظمة غير ربحية مكرسة لوقف الاتجار بالجنس البشري. ويصور الفيلم أيام عمله في فرقة العمل المعنية بجرائم الإنترنت ضد الأطفال. لقد فهمنا جيدا أيضا الإحباط الذي دفعه إلى الاستقالة من عمله من تلقاء نفسه لتعقب الأسرى وإنقاذهم (وكثير منهم أطفال) وتقديم خاطفيهم إلى العدالة.

عندما طرح بالارد سؤالا حول الدافع لمهمته، أجاب "أبناء الله ليسوا للبيع". في الفيلم طرحت قصة حقيقية وقضية إنسانية تقشعر لها الأبدان وهي التجارة بالأطفال، وتم تسليط الضوء على جهود العميل تيم بالارد الذي أسس منظمة لإنقاذ الأطفال من الاختطاف والاستغلال الجنسي والتجارة بهم ووضع حد لهذه الجريمة المروعة وهي واحدة من أشد الجرائم وحشية وقسوة في عصرنا الحالي، تستوجب الوقوف أمامها ومواجهتها.

عندما أتكلم عن هذا الفيلم فأنا لا أتحدث عنه كمجرد تجربة سينمائية، وإنما كواحدة من أهم وسائل التعبير عن واقع مُظلم يعيشه الآلاف من الأطفال حول العالم. يجب أن ننظر إلى هذا الفيلم ليس فقط كعمل فني، بل كرسالة صادقة وشجاعة من المخرج الذي استطاع باحترافية تقديم فيلم مثير يقدم قصة تهدف إلى حل قضية إنسانية.

هناك مشهد في "صوت الحرية" حيث يتم إنقاذ الأطفال ويظهرون وهم يغنون، وتقول إحدى الشخصيات في الفيلم، "هل تعرف ما هو هذا الصوت؟" وبعد ذلك، تليها وقفة طويلة، يكون الجواب "إنه صوت الحرية". من الضروري ملاحظة أن جميع الشخصيات في الفيلم تستند إلى أشخاص حقيقيين، بما في ذلك "جيزيل"، المرأة المسؤولة عن تجنيد الأطفال.

خططت جيزيل "لتجنيد" المواهب والوعد بثروات للعائلات ذات الدخل المنخفض. تستند شخصية جيزيل إلى امرأة تدعى كيلي جوهانا سواريز. سميت سواريز "ملكة جمال قرطاجنة" عن عمر يناهز 20 عاما. ومع ذلك، بحلول أواخر العشرينات، كانت تستغل العوائل التي يفترسها الفقر في مسقط رأسها أوبريرو، كولومبيا وتعدهم بالثروة من خلال عرض الأزياء والأبهة. ولكنها باعت الأطفال الأبرياء إلى تجار البشر لاستغلالهم في تجارة الجنس.

إن حصول الفيلم على دعم من مجموعة من الشخصيات المحافظة من رجال السياسة و المال، وتصريحات شخصيات مثل ميل جيبسون وإيلون ماسك ودونالد ترامب وجوردان بيترسون، من بين آخرين، يحيلنا إلى أنه ليس من المستغرب الجدل الذي انفجر في جميع وسائل الإعلام حول الفيلم على جميع المكونات لإثارة المواقف السياسية الأكثر راديكالية في الساحة.

ويعزو الكثيرون سبب النجاح غير المتوقع للفيلم إلى الدعم من شخصيات سياسية ومؤسسات إعلامية تمثل تيار اليمين الأميركي. وحلّ الممثل كافيزيل وبالارد والمنتج والممثل فيراستيغي ضيوفا على العديد من برامج البودكاست اليمينية والدينية، كما ساعدت مؤسسات تتبنى الخطاب اليميني مثل "فوكس نيوز"، و"بريتبارت"، و"كريستيان بوست"، و"كاثوليك وورلد نيوز" في الدعاية للفيلم، إلى جانب وجود الممثل والمخرج ميل جيبسون كواحد من منتجي الفيلم يجذب أيضا غضب بعض الأشخاص والشركات السينمائية.

وفي الوقت نفسه، اعتمدت التغطية الإعلامية اليمينية لصدور الفيلم سردية مفادها أن العمل يقدّم قصة "لا يريد اليسار أن نسمعها". ويوصف الفيلم بأنه "فيلم إثارة مسيحي" وتشير الحملة الإعلانية المواكبة له أحياناً إلى إيمان أبطاله. كما تضمن أحد مشاهده عبارة "أطفال الله ليسوا للبيع".

في المقابل، رفض المخرج مونتيفيردي هذا التوصيف واستبعد تلك الخلافات الأيديولوجية حول فيلمه وقال "إنها تؤلمه بشدة، أنا لست قريباً من السياسة ولا مع أي شيء يثير الانقسام. أنا فنان وراوي قصص". ووفقا للشائعات في الشبكات، تم رفض مشروع الفيلم من قبل العديد من أستوديوهات هوليوود حتى تمكن أخيرا من تنفيذه بتمويل مستقل. ويدعي منتج الفيلم إدواردو فيراستيغي، أنه تعرض للتهديد بالقتل في عدة مناسبات قبل العرض الأول أو الحملة التسويقية أو رد فعل مجموعات السلطة المتورطة في شبكات الاستغلال الجنسي للأطفال.

فيلم صوت الحرية (2023) يثيرنا منذ اللحظة الأولى داخليا ويجعلنا نشعر بعدم الارتياح في مواجهة صدمة الصور. من ناحية أخرى، يتجنب المخرج في جميع الأوقات إظهار المواقف المخيفة التي يعيشها الأطفال بطريقة مرضية، بل على العكس، يفضل أن يكون أكثر دقة واحتراما عندما يتعلق الأمر بتعريضنا لكل لحظة من الحياة القاسية التي أجبر الأطفال على عيشها.

قال فيراستيغي إن المشاهدين "تركوا قلوبهم تتكلم" و"شاركوا تلك الانطباعات مع أشخاص آخرين. إنها حركة تنمو". وبينما اعترف بأنه لا يملك "عصا سحرية" لإنهاء الاتجار بالأطفال، قال فيراستيغي إن "الخطوة الأولى هي زيادة الوعي".

في الحياة الواقعية، أصبحت منظمة بالارد لمكافحة الاتجار بالبشر، عملية السكك الحديد تحت الأرض معروفة بالقيام بعمليات إنقاذ درامية مثل تلك التي تم تصويرها في الفيلم. تلك المنظمة التي يديرها بالارد ساهمت في إنقاذ النساء الإيزيديات في العراق، وقادت عمليات النقل الجوي الخاصة لإنقاذ الأفغان المضطهدين من أفغانستان بعد رحيل الجيش الأميركي في عام 2021.

"صوت الحرية" (2023) فيلم مستوحى من حياة تيموثي بالارد الوكيل السابق لوزارة الأمن الداخلي في الولايات المتحدة، مؤسس منظمة عملية السكك الحديد تحت الأرض المكرسة لمساعدة ضحايا الاتجار بالأطفال. أدلى بالارد بشهادته في اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية في مجلس النواب وشارك لقطات للعملية التي تم تصويرها في صوت الحرية مع وسائل الإعلام (تمت إضافة بعض هذه اللقطات أيضا خلال اللحظات الأخيرة من الفيلم).

استغلال الأطفال مشكلة حقيقية لا يريدها أحد (باستثناء المستغلين). وفيلم "صوت الحرية" أعتبره صرخة بوجه عالم يستغل فيه الأطفال جنسيا والتعاطف مع الضحايا الأبرياء الذين لا يستحقون مثل هذه المعاملة. نأمل أن يقوم الفيلم بعمله في زيادة الوعي بالمشكلة الحقيقية للاتجار بالبشر. صوت الحرية يظهر بوضوح الجهود الكبيرة التي تبذل لإنقاذ الأطفال من الاتجار. وهذا الجهد، وإن كان مشرفا في إنقاذ الأرواح، لن يحل المشكلة حتى يحاسب أولئك الذين يشترون الأرواح ويدمرونها ويعاقبون على أعمالهم. ومع ذلك، لا يوجد نقاش يذكر على الصعيد العالمي حول إنهاء الطلب الذي هو القوة الدافعة للاتجار.

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

قمة عالمية تناقش كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي

خبراء: الفجوة الرقمية والتكنولوجية بين البشر لم تعد مقبولة

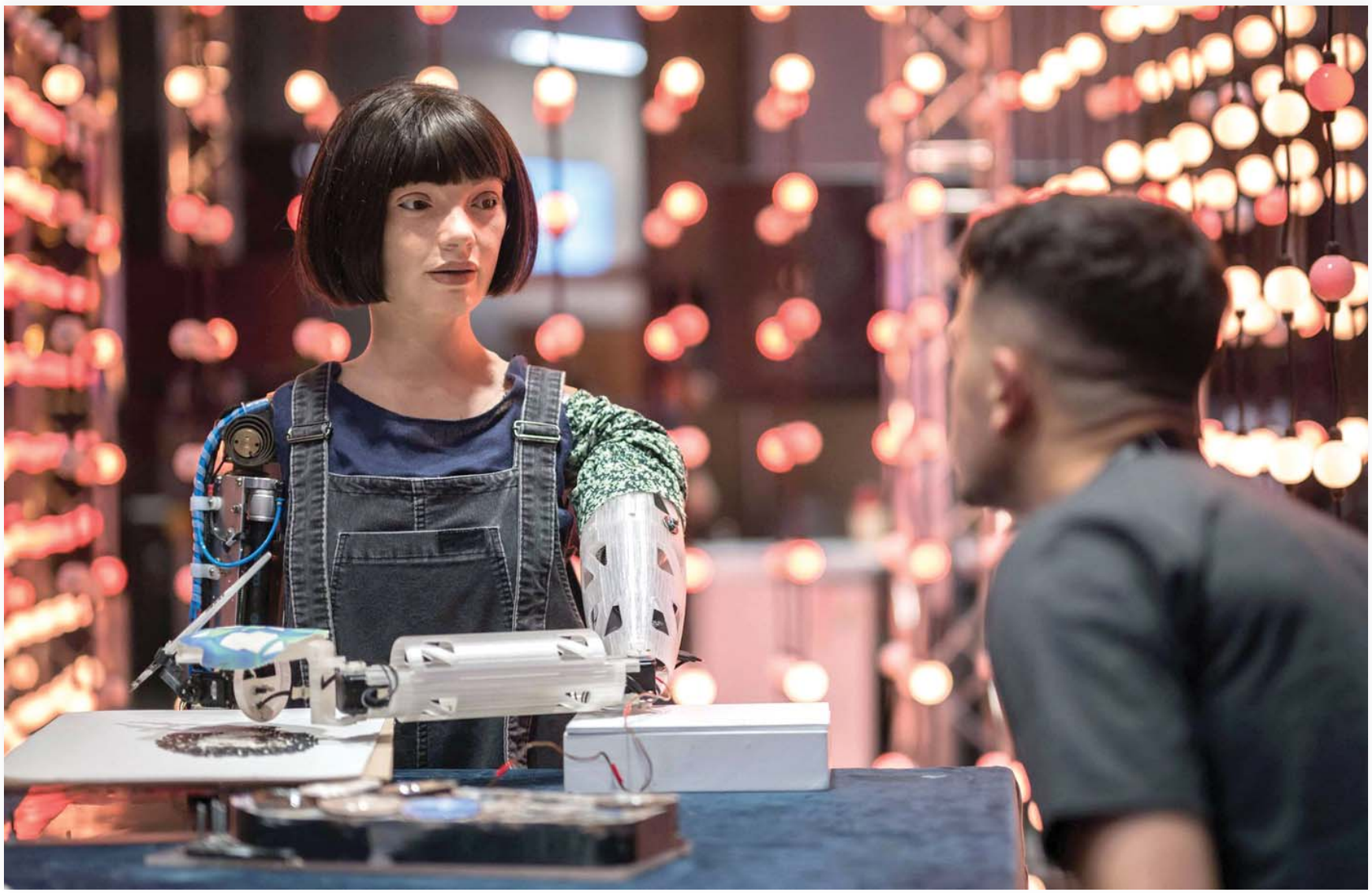

قوة في أيادي قلّة

استضافت جنيف قمة عالمية تحت عنوان "الذكاء الاصطناعي من أجل الصالح العام" شملت مشاركين من جميع القطاعات حول العالم ومدراء شركات تكنولوجيا وخبراء، حيث تم تقديم العديد من العروض المتطورة، إلى جانب عقد جلسات لمناقشة إيجابيات الذكاء الاصطناعي وقدراته على تحسين حياة الناس والإضاءة على مخاطره في الآن ذاته.

جنيف (سويسرا) - مع استقبال الروبوتات لآلاف المشاركين من جميع القطاعات حول العالم في جنيف، افتتحت الخميس القمة العالمية للذكاء الاصطناعي من أجل الصالح العام، وذلك لمناقشة الآمال والمخاوف بشأن تطوير الذكاء الاصطناعي.

وقالت الأمم المتحدة، في بيان، نشرته عبر موقعها الإلكتروني إن المنتدى السنوي الذي ينظمه الاتحاد الدولي للاتصالات يعد المكان الذي يلتقي فيه البشر بالذكاء الاصطناعي.

وأكد المنظمون أن القمة العالمية، التي استمرت ليومين في جنيف، تظهر الطرق التي يمكن بها تحسين حياة الناس أو حتى تغييرها تماما من خلال هذه التكنولوجيا.

فرصة لا تتكرر

إلا أن مسؤولة كبيرة وخبراء في الأمم المتحدة يرون أن البشرية في سباق مع الزمن لتعلّم كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي من أجل المصلحة العامة وتجنّب المخاطر الكبيرة التي يحملها.

وفي افتتاح القمة، أكدت دورين بوغدان مارتن، الأمينة العامة للاتحاد الدولي للاتصالات، على الإمكانات الهائلة، "سواء للخير أو للشر" للذكاء الاصطناعي، مشيرة إلى ضرورة حوكمة أنظمة الذكاء الاصطناعي وجعلها شاملة وآمنة.

دورين بوغدان مارتن

لقد تركنا المارد يخرج من القمقم.. نحن في سباق مع الزمن

أنطونيو غوتيريش

الذكاء الاصطناعي يغير حياتنا.. ويحفز التنمية المستدامة

وأضافت بوغدان مارتن "لقد تركنا المارد يخرج من القمقم.. نحن في سباق مع الزمن"، متابعة "إن التطورات الأخيرة في مجال الذكاء الاصطناعي هي ببساطة استثنائية".

وقال توماس لامانوسكاس، نائب الأمين العام للاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة الذي نظم الحدث، "أحيانا نظن أن الذكاء الاصطناعي شيء كبير"، لافتا "في الوقت نفسه، يمكن دمجه في العديد من الأمور في الحياة اليومية... سواء في مجال التنبؤ بالفيضانات، أو إدارة الكوارث، أو أنظمة الإنذار المبكر، أو الزراعة، أو الصحة. (يمكن استخدامه) في جميع المجالات".

ومثلت القمة فرصة لعرض التكنولوجيا المتقدمة، حيث تضمنت المعروضات أطرافا صناعية يمكنها التعرف على سلوك المستخدم والتكيف مع نشاط العضلات، وكذلك أجهزة تساعد المكفوفين على تجنب العقبات في الشارع، وقططا وكلابا آلية تعمل كمرافقين، بالإضافة إلى الأجهزة التي تمثل العمود الفقري للنظام البيئي العالمي للذكاء الاصطناعي.

قدرات خارقة

استخدامات واسعة النطاق

وفي إطار استعراض الاستخدامات واسعة النطاق لهذه التكنولوجيا على هامش القمة، نزل فريقان من الروبوتات على ملعب اصطناعي لكرة القدم من صنع مجموعة من طلاب جامعة إي.تي.إتش في زيورخ. وكان الفريقان يركلان الكرة ويمررانها ويتتبعانها بناء على مدخلات من أجهزة استشعار.

وأفاد يان نيكو زايتش، المشرف العلمي على المشروع، "يتيح المشروع لطلابنا الجامعيين وطلاب الدراسات العليا فرصة تكوين خبرة على منصة آلية كاملة"، مضيفا "إنها منصة لاختبار الخوارزميات التي يمكن استخدامها في العالم الحقيقي لاحقا".

ويدرك الآلاف من الحاضرين في القمة التي احتضنها مركز من أكبر مراكز المؤتمرات في جنيف، أنّ التقدم في الذكاء الاصطناعي التوليدي بدأ يسرّع الجهود المبذولة لحل بعض المشاكل العالمية الطارئة مثل التغير المناخي والجوع والإعانة الاجتماعية.

وقالت بوغدان مارتن في رسالة بالبريد الإلكتروني تلقتها وكالة فرانس برس قبل انطلاق القمة "أعتقد أننا أمام فرصة لا تتكرر سوى مرة واحدة في كل جيل، لوضع الذكاء الاصطناعي في خدمة كل شخص على هذا الكوكب".

عام انتخابي بامتياز

لكنها أبدت الخميس أسفها لأن خدمة الإنترنت، في عصر الذكاء الاصطناعي والفرص التي لا يمكن تصورها، لا تزال غير متاحة لثلث البشرية "المستبعد عن ثورة الذكاء الاصطناعي من دون أن يتمكن من التعبير عن نفسه"، مشددة على أن هذه الفجوة الرقمية والتكنولوجية "لم تعد مقبولة".

وأشارت إلى أن 2.6 مليار شخص على مستوى العالم لا يزالون محرومين من الوصول إلى الإنترنت. وحثت على العمل الجماعي لسد هذه الفجوة الرقمية الحرجة، قائلة إن الوصول العادل إلى تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أمر ضروري لتحقيق التقدم الشامل.

وترى أن ذلك مهم في المرحلة الراهنة تحديدا لأنّ "2024 هو أكبر عام انتخابي في التاريخ"، إذ ستُنظم انتخابات في عشرات البلدان بينها الولايات المتحدة.

وأضافت "مع ظهور حملات التضليل المتقدّمة من نوع التزييف العميق، يُعدّ 2024 أيضا العام الأكثر إثارة للجدل"، محذرة من أن "سوء استخدام الذكاء الاصطناعي لا يهدد النظام الديمقراطي فحسب، بل يعرض الصحة الذهنية للشباب للخطر ويهدد الأمن السيبراني".

وتتجه أنظار العالم إلى عام 2024 بوصفه عاما انتخابيا بامتياز، حيث من المنتظر أن يتوجه أكثر من نصف سكان العالم إلى صناديق الاقتراع، وهو أكبر عدد من الناخبين في التاريخ. وأمام هذا الزخم الكبير، يبدو العالم قلقا من تحديات خطرة تتعلق بتضليل الناخبين وتأجيج الاستقطاب السياسي عبر إنتاج المحتوى المزيف وتداوله، والذي أصبح أكثر تطورا وأقل كلفة بفعل تطبيقات الذكاء الاصطناعي القادرة على استنساخ صوت مرشح، أو إنتاج فيديوهات وروايات كاذبة.

وفي خطاب ألقته في حدث آخر تمحور على إدارة الذكاء الاصطناعي، مؤخرا، أشارت الأمينة العامة للاتحاد الدولي للاتصالات، إلى أن "قوة الذكاء الاصطناعي تتركز في أيادي عدد قليل جدا من الجهات".

وقالت إن "التموضع في هذا النوع من المواقف خطر وغير أخلاقي إلى حدّ ما بالنسبة إلى البشرية".

وأبدى خبراء آخرون كانوا حاضرين في القمة موافقتهم على حديث بوغدان مارتن، حيث قال تريستان هاريس، وهو عالم متخصص بأخلاقيات التكنولوجيا وشارك في تأسيس مركز "سنتر فور هيومن تكنولودجي"، "علينا أن نفهم إلى أين نتّجه".

وأشار إلى الدروس المستقاة من وسائل التواصل الاجتماعي التي تم تقديمها في البداية كوسيلة لربط الناس ومساحة تعبير لكل فرد، ولكنها تسببت في الوقت نفسه بإدمان، وساهمت في انتشار المعلومات المضللة، والمضايقة عبر الإنترنت، وعززت من المشاكل الذهنية لدى المراهقين.

ومع أن الذكاء الاصطناعي قد يفيد البشرية بطرق كثيرة، حذّر هاريس من أن الحوافز التي تدفع الشركات لنشر التكنولوجيا قد تزيد آثارها السلبية بشكل كبير، قائلا إن "الدافع الأساسي وراء أداء شركتي "أوبن إيه آي" وغوغل هو التسابق للهيمنة على السوق"، مضيفا "في عالم مماثل من أملهم جدا أن تواكب الحوكمة سرعة تقدم التكنولوجيا".

تنسيق عالمي

أقرّ مدير "أوبن إيه آي" مُبتكرة برنامج "تشات جي بي تي" الشهير، سام ألتمان، بأنّ هذا التقدم التكنولوجي قد يحمل مخاطر.

وفي حديث عبر اتصال بالفيديو، قال للحاضرين إن "الأمن السيبراني" يمثل حاليا أكبر مسألة مقلقة في ما يتعلق بالآثار السلبية التي قد تنجم عن الذكاء الاصطناعي.

التقدم في الذكاء الاصطناعي التوليدي بدأ يسرّع الجهود المبذولة لحل بعض المشاكل العالمية الطارئة

وتابع ألتمان أنه سيكون من الضروري ربما على المدى البعيد "تغيير العقد الاجتماعي نظرا إلى القوة المتوقّعة لهذه التكنولوجيا"، مشددا في الوقت نفسه على أن أنظمة الذكاء الاصطناعي تُعدّ من منظور التطور التاريخي للتكنولوجيات الجديدة، "آمنة وقوية عموما".

وفي حين رحّب بالمناقشات التي تتمحور على القوانين التنظيمية الرامية إلى الحدّ من الآثار السلبية قصيرة الأمد للذكاء الاصطناعي، حذّر من "صعوبة" وضع قوانين تهدف إلى الحدّ من تقدّمه.

وسلّط مؤسس شركة "إكسبونانشل فيو"، عظيم أزهر، الضوء على الحاجة إلى استجابة مؤسسية أقوى بكثير "لضمان أن الذكاء الاصطناعي يمنح الناس قدرات خارقة بدل النظر إليه على أنه أداة لتحلّ محلهم".

وأوضح روبرت أوب، كبير المسؤولين الرقميين في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، لأخبار الأمم المتحدة "عندما نقدم الدعم الانتخابي للبلدان خلال انتخاباتها، تكون لدينا منصة قائمة على الذكاء الاصطناعي تعمل كمنصة للكشف عن المعلومات المضللة وتحدد المحتوى المشبوه من أجل التحقق منه".

ورحبت بوغدان مارتن بمسارعة الحكومات والجهات الفاعلة الأخرى "أخيرا لوضع تدابير حماية" وقوانين مرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي.

ودعت إلى مستقبل يخدم فيه الذكاء الاصطناعي أفضل مصالح البشرية، قائلة "دعونا نتذكر أن المستقبل لا يبدأ بالخوارزميات، بل بنا.. هنا، في أدمغتنا، جهاز الكمبيوتر الأكثر تعقيدًا وقوة وإبداعًا الذي عرفه العالم على الإطلاق".

وكان الاتحاد الأوروبي أعلن، الأربعاء الماضي، عن إنشاء مكتب للذكاء الاصطناعي يُعنى بتنظيم هذه التكنولوجيا بموجب قانون جديد.

وأكد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، في كلمته التي قدمها في القمة العالمية للذكاء الاصطناعي من أجل الصالح العام من خلال رسالة فيديو، على الإمكانات التحويلية للذكاء الاصطناعي في تعزيز التنمية المستدامة في جميع أنحاء العالم.

وسلط غوتيريش الضوء على الطبيعة المزدوجة للذكاء الاصطناعي، مشددا على ضرورة إدارته بشكل شامل ومسؤول، معلنا أن "الذكاء الاصطناعي يغير عالمنا وحياتنا.. ويمكنه أن يحفز التنمية المستدامة".

وتحدث بالتفصيل عن تطبيقات الذكاء الاصطناعي متعددة الأوجه، مشيرا إلى قدرته على إحداث ثورة في قطاعات مثل التعليم والرعاية الصحية والزراعة والإسكان وإدارة الكوارث.

واعتبر الأمين العام للأمم المتحدة أن "الذكاء الاصطناعي يمكن أن يغير قواعد اللعبة بالنسبة إلى أهداف التنمية المستدامة"، ومع ذلك، فقد حذر من أن تحقيق الإمكانات الكاملة للذكاء الاصطناعي يتطلب معالجة مخاطره، بما في ذلك التحيز من المعلومات المضللة والتهديدات الأمنية.

وقال "إننا في حاجة إلى تنسيق عالمي لبناء ذكاء اصطناعي آمن وشامل ومتاح للجميع"، مشيدا بالاتحاد الدولي للاتصالات لعمله المبكر بشأن معايير الذكاء الاصطناعي ولعقد للقمة".

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

خبراء ينصحون الممارسين لرياضة الركض بضرورة الحصول على فترات راحة

الراحة تتيح للأربطة والمفاصل استعادة نشاطها وتعويض مخزون الكربوهيدرات داخل العضلات

الإسراف في الركض يؤذي القلب

حذر خبراء اللياقة البدنية من خطورة الإفراط في ممارسة رياضة الجري، ذلك أن الركض دون راحة يضعف الجهاز المناعي ويرفع احتمالات الإصابة بأمراض التنفس ويقلل إفراز الأدرينالين والتيستوستيرون. كما أن خطر الإصابة بالنوبات القلبية والسكتات الدماغية، واضطرابات الأكل والدورة الشهرية، وهشاشة العظام، يرتفع لدى النساء نتيجة الإسراف في الركض. ودعا الخبراء إلى الاعتدال في ممارسة رياضة الجري.

سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة) - تنطوي رياضة الركض على الكثير من الفوائد الصحية، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن من يمارسون هذه الرياضة لمدة ساعة على الأقل أسبوعيا يعيشون أطول بواقع ثلاث سنوات وتتراجع احتمالات إصابتهم بالأمراض المزمنة مقارنة بمن لا يمارسون الرياضة.

ولكن البعض يفرطون في ممارسة الركض حيث يحرصون على التريض بشكل يومي، على مدار سلسلة أيام متتالية طويلة.

وذكر الموقع الإلكتروني "ميديكال إكسبريس" المتخصص في الأبحاث الطبية أن هؤلاء الأشخاص المتمرسين في رياضة الركض يحققون فوائد صحية كبيرة مثل تحسن معدلات استهلاك الأكسجين في الجسم بنسب تتراوح ما بين 5 و10 في المئة وتراجع سرعة نبضات القلب أثناء الركض وتتعزز لديهم القدرة على استهلاك دهون الجسم كمصدر للطاقة.

ولكن الخبراء ينصحون بضرورة الحصول على فترات من الراحة بين سلاسل الركض لأيام طويلة لأن ذلك يتيح للأربطة والمفاصل استعادة نشاطها وتعويض مخزون الكربوهيدرات داخل العضلات، ويؤكد الخبراء أيضا أنه في بعض الحالات المتطرفة قد يلحق الركض لفترات طويلة في إطار رياضات التحمل أضرارا بالقلب.

ويقول "ميديكال إكسبريس" إن الركض دون راحة يضعف الجهاز المناعي ويرفع احتمالات الإصابة بأمراض التنفس ويلحق تغيرات كبيرة ببعض الهرمونات حيث يقلل إفراز الأدرينالين والتيستوستيرون بنسبة قد تصل إلى 40 في المئة، مما يضعف القدرة على التعافي بين جولات الركض ويؤدي إلى بعض الأعراض مثل التقلبات المزاجية وتلف العضلات.

وينصح الخبراء بضرورة مراعاة معايير الأحمال التدريبية أثناء ممارسة الرياضة، ويقصد بها حجم الجرعة التدريبية وعددها وكثافتها، ويؤكدون أن ممارسة الرياضة بشكل معتدل تساعد الفرد في الحفاظ على لياقته وتقلل احتمالات الإصابة والأمراض.

وممارسة الرياضة أكثر من اللازم والإفراط في الإجهاد قد تكون لهما عواقب وخيمة على الجسم والعقل، "وقد يؤدي إلى حدوث إصابات مثل الكسور والتهابات الأوتار والأربطة"، وفقا لموقع "بزنس إنسايدر"، الذي ذكر أن الأبحاث أظهرت أن "تجاوز الحد في التمرين لا يزيد من الفوائد الصحية"، ففي حين أن التمارين المعتدلة يمكن أن تحسن نظام المناعة، إلا أن التمارين المفرطة يمكن أن تثبطه بالفعل خلال مدة التعافي التي قد تصل إلى 72 ساعة بعد ممارسة التمارين المكثفة، مما قد يزيد من احتمالات غزو الجسم بالفايروسات والبكتيريا وإصابته بالتهابات الجهاز التنفسي العلوي.

أيضا بالنسبة إلى النساء، فأظهرت دراسة أن خطر الإصابة بالنوبات القلبية والسكتات الدماغية، واضطرابات الأكل والدورة الشهرية، وهشاشة العظام، ارتفع لدى النساء اللاتي مارسن التمارين الرياضية بكثافة كل يوم. أما الرجال، فقد أشارت دراسة إلى أن التعب الجسدي وانخفاض هرمون التيستوستيرون الناتج عن التمارين المكثفة، قد يقلل من مستوى الرغبة الجنسية لديهم.

> الركض دون راحة يضعف الجهاز المناعي ويرفع احتمالات الإصابة بأمراض التنفس ويلحق تغيرات كبيرة ببعض الهرمونات

وغالبا ما تظهر العلامة الأولى على وقف التمرين "عندما يتراجع التقدم أو تضعف النتائج" وفقا للدكتور ليو، الذي يقول "إذا وجدت أن عضلاتك تؤلمك باستمرار، وتواجه صعوبة في النوم، أو عدم القدرة على القيام بتمارين كانت سهلة بالنسبة إليك من قبل، فمن المحتمل أن يكون هناك خطأ ما، يستدعي الراحة وطلب المشورة الطبية". كما تشمل إشارات التحذير علامات أخرى منها "الموت المفاجئ أثناء التمرين"، لذا يُشدد الدكتور جوناثان دريزنر، اختصاصي الطب الرياضي بجامعة واشنطن، والمهتم بالوقاية من الموت القلبي المفاجئ لدى الرياضيين الشباب، على ضرورة فحص قلب الشباب قبل ممارسة الرياضة.

ويقول "بغض النظر عن عمر الشخص، لا بد من مراجعة طبيبه والتأكد من أنه بصحة جيدة بما فيه الكفاية، قبل أن يبدأ في اتباع برنامج لممارسة الرياضة بانتظام"، فقد يكون معرضا لخطر الإصابة بأمراض القلب، ويحتاج إلى إرشادات محددة في ما يتعلق بمعدل ضربات القلب أثناء أداء التمارين، حتى يتمكن من ممارسة الرياضة بأمان.

بدوره أكد الطبيب الألماني توماس فيسينغهاغه أن ممارسة الجري بشكل خاطئ أو مبالغ فيه لها عواقب صحية وخيمة، محذرا من إمكانية أن يؤدي ذلك – في حالات التحميل الشديدة على الجسم – إلى الإصابة بأزمة قلبية أو بمتلازمة الموت المفاجئ مثلما يحدث في الكثير من سباقات الماراثون.

كما ذكر الطبيب عواقب أخرى ناجمة عن الممارسة الخاطئة لهذه الرياضة، منها مثلا حدوث أضرار طويلة المدى بالجهاز الحركي مما يؤدي إلى الإصابة بآلام الظهر، موضحا أن التحميل الشديد على الجسم أثناء ممارسة الجري تكون له أعراض باطنية أو عصبية، كالإصابة باضطرابات التوجه والتوازن أو الإصابة بالصداع أو بهبوط حاد في الدورة الدموية.

وأوصى فيسينغهاغه الذي يشغل منصب مدير عيادات إعادة التأهيل والعلاج الطبيعي بمدينة باد فيس زيه الألمانية، ممارسي رياضة الجري، سواء المبتدئين أو الرياضيين المتمرسين، بضرورة الإنصات جيدا للإشارات الصادرة من أجسادهم في الوقت المناسب؛ حيث دائماً ما يرسل الجسم إشارات بأنه قد تعرض للإجهاد أو أنه لا يزال قادرا على التحميل عليه بعض الشيء.

ونصح الطبيب هواة رياضة الجري بـ"البدء بممارسة هذه الرياضة بمعدل مريح للجسم، وبمراقبة الإشارات الصادرة من أجسادهم"، محذرا من تجاهل الشعور بالتعب ومحاولة مواصلة الجري، لأن الأمر قد يُعرض الجسم والحياة كلها للخطر.

من جهته أكد الطبيب الرياضي الألماني كريستيان على ضرورة استشارة طبيب رياضي مختص قبل البدء في ممارسة رياضة الجري أو غيرها من الرياضات بالنسبة إلى الأشخاص البالغين 35 عاماً فأكثر، أو الذين يستأنفون ممارستها بعد انقطاع لمدة عامين أو أكثر.

وشدد على أهمية استيضاح التاريخ المرضي الشامل للرياضي بما فيه إصابته بمتاعب سابقة أو تاريخ الإصابات في عائلته، موضحا أن الرياضة تعد دواء للجسم، لكن من المهم أن يحرص المبتدئون في ممارسة رياضة الجري وغيرها من الرياضات ألا يُفرطوا في ممارستها وألا يقطعوا مسافات كبيرة في البداية وألا يبالغوا في سرعة الجري.

طرق «آمنة» للجلوس الصحي وتخفيف آلام الظهر

لندن - كشفت بعض الدراسات أن الأشخاص الذين يقضون ما بين 6 و8 ساعات جالسين يوميا، يزداد لديهم خطر الوفاة المبكرة لأي سبب صحي بنسبة 20 في المئة.

ويُعتقد أن السبب يكمن في أن الجلوس لفترات طويلة يضع الجسم في وضع "الاستعداد"، حيث يتباطأ التمثيل الغذائي وتتقلص الدورة الدموية بسبب ثني المفاصل، كما تضعف القدرة على معالجة السكر في الدم (العضلات غير النشطة لا تمتص قدرا كبيرا من السكر في الدم)، ما يؤدي إلى زيادة خطر الإصابة بأمراض القلب والسمنة والسكري من النوع الثاني.

وقد يؤدي الجلوس لفترة طويلة أيضا إلى ألم في عضلات الظهر والرقبة والكتف.

وتوضح سامي مارغو، أخصائية العلاج الطبيعي في لندن، أن "أسوأ خطأ" يمكن ارتكابه هو البقاء في وضعية الجلوس نفسها لفترات طويلة.

وفيما يلي أحدث القواعد المدعومة علميا لتقليل أضرار الجلوس مطولا:

● **لا ضرورة للجلوس في وضعية مستقيمة:** على عكس ما قيل، فإن أفضل وضعية للجلوس هي ألا يكون الشخص مستقيما مع تثبيت كتفيه إلى الخلف، حيث لم تجد دراسة أجريت عام 2021 ونشرت في مجلة "مسكيلوسكيليتل ساينس أند براكتس"، أي دليل يشير إلى أن الجلوس في وضعية مستقيمة يمنع آلام الظهر أو يخففها.

ولاحظ الباحثون أن الوضعية المستقيمة تعمل على تقويم المنحنيات الطبيعية للعمود الفقري بشكل مصطنع، ما قد يضع الجسم تحت ضغط من غير المرجح أن يتعرض له في وضعية جلوس أكثر طبيعية واسترخاء.

ويؤكد الدكتور كيران أوسوليفان، المحاضر في العلاج الطبيعي بجامعة "ليميريك"، "لا توجد طريقة واحدة آمنة للجلوس عندما يتعلق الأمر بألم الظهر. إذا كنت تشعر أنك بخير، فلا تقلق بشأن وضعية الجلوس، وإذا كنت تعاني من الألم، حاول تغيير الوضعية لتخفيف الألم".

> الجلوس لفترات طويلة ومتكررة يضع الجسم في وضع حرج، حيث يتباطأ التمثيل الغذائي وتتقلص الدورة الدموية

لذا، فإن القليل من التراخي الخفيف مقبول طالما أنه لا يسبب الألم أو الانزعاج.

● **خطر الاستلقاء على الأريكة:** تحذر مارغو "ليس من الجيد السماح للظهر بالانحناء إلى شكل 'سي' لفترات طويلة"، خاصة أن التراخي لفترة طويلة يمكن أن يضغط على الأقراص التي تسند الفقرات في العمود الفقري، ويجبر الرقبة والكتفين على العمل لمنع الرأس من الانزلاق إلى الأمام.

ومع مرور الوقت، قد يؤدي الاستلقاء المطوّل على الأريكة إلى إضعاف عضلات الظهر والبطن ما قد يسبب الألم.

ويوصي أخصائيو العلاج الطبيعي بالجلوس في مواجهة التلفزيون مع وضع القدمين بشكل مسطح على الأرض.

● **اشبك كاحليك وليس ركبتيك:** تظهر الأبحاث أن وضع الساقين على بعضهما البعض (عند منطقة الركبتين) يؤدي إلى تدوير الحوض، والجلوس بشكل روتيني بهذه الطريقة يمكن أن يؤدي إلى آلام أسفل الظهر لأنه يمدد العضلات الألوية (3 مجموعات من العضلات المشكلة للأرداف).

ووجدت دراسة نشرت في المجلة الدولية للبحوث البيئية والصحة العامة، أن الجلوس مع تقاطع الساقين يؤدي أيضا إلى جعل الجذع أكثر تراخيا.

ووجدت دراسة أجريت عام 2018 أن الأرجل المتقاطعة يمكن أن تقلل من سرعة تحرك الدم عبر الأوعية الدموية في الساقين، ما قد يزيد من خطر جلطات الدم، بالإضافة إلى اختلال العمود الفقري والكتفين، وفي النهاية آلام الظهر.

● **اخفض شاشتك أثناء الكتابة:** تتمثل إحدى القواعد الراسخة لبيئة العمل المكتبية في وضع شاشة الكمبيوتر على مستوى العين لتقليل الضغط على الرقبة.

ومع ذلك، تقول مارغو إن هذا ينطبق فقط على الأشخاص الذين يجيدون استخدام لوحة المفاتيح دون النظر إليها.

وتوصي قائلة "ضع شاشتك بمستوى أقل قليلا من مستوى العين لتقليل حركة الرأس أثناء النظر إلى الأعلى وإلى الأسفل".

● **استخدم طاولة الكي كمكتب واقف:** توضح مارغو "اعتمادا على طولك، يمكن لطاولة المطبخ أن تكون مكتبا مثاليا (ارفع الكمبيوتر المحمول على لوح تقطيع سميك إذا لزم الأمر)، لكن لوح الكي قد يكون أفضل لأنه 'مكتب مثالي أيضا' ويمكن أن يخفف الضغط على الظهر في حالة الوقوف".

تمرين اللوح الخشبي أفضل طريقة لخفض ضغط الدم

بيرمينغهام (المملكة المتحدة) - ينصح خبراء الصحة بضرورة ممارسة التمارين الرياضية للمساعدة في خفض ضغط الدم، ويلقون لمحة على أفضل التمارين المناسبة لهذه الحالة.

وأوضحوا أن التمارين الرياضية التي تتضمن الوضعيات الثابتة لشد العضلات (التمرين متساوي القياس)، مثل تمرين اللوح الخشبي (بلانك) ووضعية القرفصاء بالاستناد على الحائط، هي في الواقع أفضل طريقة لخفض ضغط الدم، بالإضافة إلى تقديمها عددا من الفوائد الصحية، أهمها تحسين صحة القلب.

وأظهر جيمي إدواردز، المحاضر في فسيولوجيا التمرين من جامعة شرق لندن، أن التمارين متساوية القياس تعمل على تحسين ميكانيكا القلب ووظيفته وبنيته، وصحة نظام الأوعية الدموية وأداء نظامنا العصبي اللا إرادي.

ويرجع السبب إلى الطبيعة الفريدة لتقلص العضلات الثابت، حيث يؤدي إلى ضغط الأوعية الدموية ومن ثم زيادة تدفق الدم بعد وقف التمرين.

وتحسن التمارين متساوية القياس صحة المفاصل، حيث تلعب العضلات دورا مهما في تقليل القوة الواقعة على أربطة المفاصل، من خلال المساعدة في تحقيق الاستقرار حول المفصل. وتظهر الأبحاث أن تدريب مجموعات عضلية معينة من خلال التمارين متساوية القياس، يمكن أن يساعد في تقليل الضغط على أربطة معينة.

ومن الشائع أن تكون العضلات الموجودة على أحد جانبي الجسم أقوى من الأخرى. ويحدث هذا جزئيا بسبب تفضيلنا لاستخدام جانب واحد من الجسم على الجانب الآخر. ولكن ذلك قد يزيد من خطر الإصابة وقد يؤثر أيضا على الأداء الرياضي.

وقد يساعد القيام بتمارين متساوية القياس في تقليل اختلافات القوة بين الأطراف.

وتعتبر التمارين متساوية القياس فعالة في تحسين القوة في أوضاع ثابتة محددة، لأنها تنشط عضلات أو مجموعات عضلية محددة جدا.

ويمكن أداء التمارين متساوية القياس بشكل جيد في أي مكان، لأنها تستخدم وزن الجسم فقط لتحدي العضلات.

يُنصح أيضا باستشارة طبيب الرعاية الصحية قبل البدء بخطة التمرين الجديدة، للتأكد من أنها آمنة وفعالة.

ويشير خبراء "مايو كلينيك" إلى أن تمارين القياس الثابت يحدث فيها شد (تقليص) عضلة معينة أو مجموعة من العضلات. وخلال ممارسة تمارين القياس الثابت، لا يتغير طول العضلة بطريقة ملحوظة. ولا يتحرك المفصل المصاب أيضا. وتساعد تمارين القياس الثابت في الحفاظ على القوة. كما يمكنها بناء القوة ولكن ليس بشكل فعال. ويمكن ممارستها في أي مكان. وتتضمن الأمثلة تمرين رفع الساقين أو التمرين اللوحي (البلانك).

ونظرا لأن تمارين القياس الثابت تمارَس في وضع واحد دون حركة، فإنها ستحسن القوة في وضع معين فقط. ويكون على الشخص ممارسة تمارين القياس الثابت من خلال نطاق حركة أطرافه بالكامل لتحسين قوة العضلة عبر هذا النطاق.

لأن تمارين القياس الثابت تؤدَّى في وضع ثابت، فلن تساعد على تحسين السرعة ولا الأداء الرياضي. ومع ذلك، يمكن أن تكون تمارين القياس الثابت مفيدة في تعزيز الاستقرار من خلال الحفاظ على موضع المنطقة المصابة. ويمكن أن تساعد هذه التمارين لأن العضلات غالبا ما تتقلص دون حركة للمساعدة على استقرار المفاصل والجذع.

وقد تكون تمارين القياس الثابت مفيدة لمن تعرض لإصابة تجعل حركته مؤلمة. على سبيل المثال، إذا تعرض الشخص لإصابة الكُفة المدوّرة، فقد يوصي مزود الرعاية الصحية أو المعالج الفيزيائي بإجراء تمارين القياس الثابت. فمثلا، قد يقترحون تمارين تتضمن مجموعة العضلات التي تساعد على استقرار الكتف. وهذا يمكن أن يساعد في الحفاظ على قوة الكتف أثناء الشفاء.

كما يمكن أن تفيد تمارين القياس الثابت مَن لديه التهاب في المفاصل. وقد يتفاقم التهاب المفاصل نتيجة استخدام العضلات لتحريك المفصل خلال النطاق الحركي الكامل له. وحينما يمارس الأشخاص المصابون بالتهاب المفاصل تمارين القياس الثابت وتتحسن قوتهم، قد يتطور أداؤهم ليمارسوا أنواعا أخرى من تمارين القوة. وقد تساعدهم تدريبات القوة على تقليل الألم وتحسين وظائفهم البدنية.

وقد أظهرت الدراسات أن تمارين القياس الثابت قد تساعد أيضا على خفض ضغط الدم والتحكم فيه. ويمكن أن يساعد النشاط البدني وتدريبات المقاومة الديناميكية على خفض ضغط الدم أيضا. ولكن إذا كان الشخص مصابا بارتفاع ضغط الدم، فعليه ممارسة التمارين بمعدلات أقل. فممارسة التمارين بمستوى أعلى من الشدة قد يؤدي إلى ارتفاع كبير في ضغط الدم لديه.

ضغط الأوعية الدموية يؤدي إلى تدفق الدم

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13147

التبصير ملاذ السوريين الباحثين عن أمل أو مفقود

كشف الغيب مهنة لكثيرات تقطعت بهن السبل بفقدان المعيل

حيرة لا تنتهي

انتشرت ظاهرة البصارات والمنجمات في ساحات دمشق بعد الحرب التي أنهكت البلاد وأفقدت الكثير من العائلات أبناءها المختطفين أو المعتقلين ويبحث ذووهم عن أي أمل للوصول إليهم ولو كان عن طريق "البصارة" التي تعتمد في تنبؤاتها على قوة الملاحظة ولهفة الزبون.

دمشق - لا تخلو الساحات والحدائق العامة في دمشق من مجموعة من العرافات أو ما يطلق عليهن باللهجة المحلية "البصّارات"، يفترشن العشب مع أولادهن بصورة شبه ثابتة، وبات العديد منهن مظهرا ثابتا من مظاهر هذه الأماكن العامة.

والمختلف في عمل البصارات في المدن السورية أنه بات أكثر من كشف الحظ في الأيام المقبلة أو تقديم النصائح للمقبلات على الزواج أو مساعدة الشابّات على الاختيار الصحيح، بل أصبحت مهنة منظّمة لهؤلاء النساء اللاتي جذبن فئة أخرى من الزبائن وهم من يبحثون عن أي خيط لمعرفة مصير أبنائهم المختطفين أو المعتقلين.

وتفرد "البصارة" كفّها كاشفة عن أحجارها المختلفة بين قشور الثمار المجففة والأصداف البحرية، لتبدأ بالحديث عن خفايا الأسرار والتوقعات وحتى وإن كانت متشابهة جدا بين الزبائن إلا أن هناك من يبحث عن بارقة أمل تلون أيامه التي باتت بلون قاتم واحد.

وكانت قراءة الطالع عبر كف اليد أو فنجان القهوة، عادة درجت عند بعض السوريين، يتلمسون بها ما هو مجهول ومغيب عنهم، ويريدون أن يعرفوه أملا بفرص أفضل في الحياة على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية.

لكن اليوم لم تعد تكفي قراءة الفنجان في الجلسات النسائية الصباحية أو المسائية للإجابة على الأسئلة المتراكمة، حيث تبدلت الطلبات وباتت غالبيتها تدور حول بحث هؤلاء النسوة عن ذويهن المغيبين في السجون أو المختطفين بعد أن فشلت مساعيهن في الوصول إليهم أو الحصول على خبر عنهم إن كانوا أحياء أو أمواتا.

> الكثير من النساء المهجرات يمتهن التبصير لتأمين قوت عائلاتهن وأولادهن بسبب فقدان المعيل في السنوات الأخيرة

ولا تشترط العرافات وفق طبيعة عملهن مبلغا محددا لقاء البحث عن المختفين من السوريين، بل يبدأ عملهن بالتنجيم لقاء إعطائهن أي مبلغ من الزبون لا يقل عن 5 آلاف ليرة (3/1 دولار).

وتقول إحدى السيدات التي تبحث عن زوجها المختفي منذ العام 2013 "نزحت من مدينة موحسن في دير الزور إلى دمشق بعد أن استهدفتنا الطائرات الحربية عام 2013. وأثناء توجهنا إلى دمشق تم توقيف زوجي البالغ من العمر 38 عاما على حاجز هرابش في المدينة، ومنذ ذلك الوقت لم نعدم وسيلة للبحث عنه".

وأضافت "اضطرت العائلة إلى بيع قطعة أرض لتأمين مبلغ مالي لعدد من الأشخاص الذين قدموا لها وعودا للكشف عن مصيره، إلا أن كل المحاولات باءت بالفشل".

وتتابع "بعد النزوح من دير الزور، اخترنا السكن في دمشق بأحد البيوت جنوب دمشق، وفي إحدى المرات نصحتني إحداهن بالذهاب إلى عرافة مشهورة الآن، وتتواجد يوميا في إحدى ساحات دمشق، وأنا لم أجد أي مانع من ذلك، لاسيما وأن العرافة لا تشترط الحصول على مبلغ مالي كما قيل لي".

ويختلف العابرون في تجاوبهم مع "البصارة" وطريقة حكمهم على عملها، خصوصا أنها باتت مهنة على درجة عالية من التنظيم والانتشار في الآونة الأخيرة. فهناك متعاطف مع هيئتها الرثّة وثيابها القروية والبؤس الواضح على ملامحها، فيما الآخر معارض لجميع أعمال التنجيم والتنبؤ على اعتبار أنه عمل قائم على التطفل على الآخرين والاستخفاف بعقولهم لأخذ أموالهم.

وتنظر فئة كبيرة من الناس إلى البصّارات على أنّهن يمارسن النصب والاستغلال مع ذوي العواطف المضطربة أو أصحاب المشكلات التي لا حل لها أو الأقل تعلّما من الناس، ولاسيما أن السوريين يائسون في معظمهم، بسبب تردّي الظروف المعيشية وتأزّم حالاتهم النفسية بعد سنوات الحرب الطويلة، الأمر الذي يجعلهم في أمس الحاجة إلى كلمة طيبة أو توقعات سعيدة على مبدأ "الغريق يتعلّق بقشّة".

ويرى عدد كبير من الناس أن البصارات يشبهن بقية النساء العاملات، اللاتي دُفعن بالفقر والفاقة إلى العمل في أي مهنة للإبقاء على رمق الحياة، وإن كان هذا العمل ينطوي على بيع الكلام واختلاق الأكاذيب.

ويعتبر هؤلاء أن كذب البصارات يبقى مقبولا أمام كذب فئات أخرى من المجتمع.. فالحكومة تكذب والمسؤولون يكذبون والجميع يكذب، وربما كان كذب البصّارات هو الأقل ضررا في المجتمع!

وتقول أم محمد إنها لا تؤمن بعمل العرافات والمنجمين وتوقن بالحديث الشريف الذي يقول "من أتى عرافا لا تقبل صلاته 40 يوما"، إلا أنها شعرت بتأنيب الضمير بعد إلحاح صديقاتها عليها أن تلجأ إلى معرفة أخبار ابنها كحل أخير عن طريق إحدى العرافات.

وتعد رحلة البحث عن أمل في بقاء المعتقلين على قيد الحياة من أصعب الرحلات وأكثرها إرهاقا لذويهم، لذلك تقودهم أحيانا إلى البصارات.

يخشى الآلاف من السوريين ممن فقدوا التواصل مع ذويهم بسبب الاعتقال التعسفي أو الإخفاء القسري من عدم رؤيتهم إلى الأبد، لهذا هم "متعلقون بقشة"، كما يقول محامون وحقوقيون يرافعون في المحاكم ويساعدون الأهالي في الوصول إلى ذويهم المختفين.

بعضهم كان يتفاجأ بأن ابنه قد توفي عند استخراجه للأوراق الرسمية كسحب قيد النفوس للعائلة، وآخرون وصلتهم أنباء أن ابنهم قد توفي ليفاجأوا بإطلاق سراحه فيما بعد.

وتعتبر الشعوذة والتنجيم وما تفعله العرافات والسحرة ومن يقرأ بالكف وكل ما يشبه تلك الطرق من العلم بالغيب، نوعا من "الإخلال بالثقة العامة"، بحسب خبراء في القانون، ويعتبر الفقهاء القانونيون أن "الثقة العامة ميثاق مفترض بين أفراد المجتمع بألا يخونوا بعضهم بعضا وألا يتحايلوا على بعضهم البعض بأي وسيلة من وسائل التحايل".

ويصنف المشرّع السوري هذا الفعل على أنه من "القباحات" التي خصص لها باب في قانون العقوبات السوري، واعتبرت هذه الجسمرة مخالفة تمسّ الثقة العامة بحسب المادة 754 ويعاقب الفاعل بالحبس التكديري ليصل إلى عشرة أيام، وتشدد العقوبة في حال التكرار لتصل إلى ستة أشهر مع الغرامة المادية، وأما إن كان الفاعل أجنبيا فيغادر البلاد.

وبحسب القانون السوري، فإن مهنة التبصير وممارسة التنجيم تعتبر جسمرة مخالفة للقانون حين تترافق هذه الأفعال مع الربح المادي، غير أن مهنة العرافة أو التنجيم تبقى دون مساءلة أو محاسبة لأنه لا أحد يذهب إلى المحاكم لمقاضاة العرافات نظرا للحاجة إليهن، ما يجعل هذه المهنة مستمرة حتى أيامنا هذه.

وتركز البصارة فاطمة عيونها على المارة لتعرف كيف "ستلقط" رزقها، وتقول عن سبب إقبال الزبائن عليها "من الله، لمجرد توقف الصبية أو الرجّال أمامي ونظرت في عيونهم، تُفتح أساريرهم، وتكشف حياتهم أمامي، ويدفعون لي بدورهم بعد أن يعرفوا الحقائق".

ولم تبح فاطمة بالكثير حيال عملها ومكان ولادتها وتعلمها وكيف استطاعت أن تعلم الغيب، واكتفت بالنظر إلى المارة أو طلبها بسؤال زميلتها في المهنة على الطرف الثاني، والتي لم تتحدث بأي شيء، بل اكتفت بالنظر كما فاطمة، أشبه بكلمة سر بينهن تُفعل عند الإحساس بالخطر.

وتعرف الغجريات في سوريا بأنهن من يمارسن عمل التنجيم والتبصير منذ سنوات طويلة قبل الحرب، لكن في السنوات الأخيرة باتت الكثير من النساء المهجرات يمتهن هذه المهنة لتأمين قوت عائلاتهن وأولادهن بسبب فقدان المعيل.

وتقول فاطمة عن المبلغ الذي تجنيه كل يوم أنه متفاوت بحسب عدد الزبائن و"كرم" كل واحد منهم، إذ تميل النساء، ويشكّلن النسبة الأكبر بين الزبائن، إلى منح البصارة "آلافا أكثر" لكونهن أكثر عطفا وتجاوبا خلال جلسة التبصير،

> رحلة البحث عن أمل في بقاء المعتقلين على قيد الحياة من أصعب الرحلات وأكثرها إرهاقا لذويهم، لذلك تقودهم إلى البصارات

ولا تقل الغلة اليومية عن 40 ألف ليرة سورية، وقد تصل إلى أكثر من 150 ألفا في مرات قليلة.

وتعاني فاطمة وقريباتها اللاتي يعملن معها في التبصير من سوء الأحوال المعيشية، لاسيما أنهن غير متعلمات ولا يملكن مهنة أو حرفة يعملن بها، والأهم من ذلك هو عدم وجود معيل بسبب غياب الزوج أو فقدانه، الأمر الذي يجعل من التبصير طريقة لتجاوز "العطالة عن العمل".

وترى فاطمة في عملها، طريقة لجني المال دون أن تلجأ إلى التسوّل (الشحادة)، وفق وصفها، فهي تأخذ المال مقابل خدمة "النصيحة" و"التحذير" و"تبييض الفال"، كما أنّه يغنيها عن العمل في أماكن غير محترمة أو في أعمال قاسية على النساء كالتنظيف والخدمة في المنازل، والتي تراها فاطمة، بحسب تعبيرها، "أعمالا مذلّة".

وتعتمد البصارة في تعاملها مع الزبون على ملاحظة تعابير وجهه مع كل جملة تلقيها أمامه، كأن تخبره بأنّ سفرا أو ارتباطا ينتظره، فيبتسم هو بطريقة عفوية مبديا شيئا من الحماسة لمعرفة المزيد.. ما يدفعها إلى متابعة الحديث عن الأمر نفسه مع إعطاء تفاصيل عامّة تصحّ في جميع الحالات المماثلة.

ويعتمد عمل البصارة على قوة الملاحظة والتنبه إذ لا تتوانى في إلقاء أسئلة ذكية، ولاسيما إذا ما حصل أمامها موقف تستطيع استغلاله لصالحها، كأن ترى زوجين أو عاشقين يتشاجران، أو فتاة تحمل كتبا دراسية، أو شابا يظهر عليه الحزن رغم هيئته التي توحي بوضع مادي جيد، عندئذ تتدخل لتحل خلافا أو تبشر بالنجاح القريب أو تعد بانكشاف الغم.

وتحاول بعض العاملات في التبصير إثارة شيء من تعاطف الزبائن، إذا ما اتسع الحديث وأبدى الزبون تجاوبا معهن.

ويخلط الناس عادة بين المسميات التي يطلقونها على أعمال التنبؤ والتوقعات، فقراءة الكف تختلف عن قراءة الفنجان أو التنبؤ المعتمد على مواضع الأجرام السماوية (التنجيم)، إذ لكل منها طريقة موروثة وأسلوب مختلف ووسائل استدراج وإقناع.

أما الشعوذة وإبطال السحر واستحضار الجن والأرواح، فهي أعمال تتمّ في الخفاء بسبب التضييق عليها قانونيا ورفضها دينيا، إلى جانب تخوّف عدد كبير من الناس منها، فهي تجارة خاصة ببعض الشيء، لها روّادها وزبائنها في أوكار بعيدة عن الملاحقة والمراقبة.

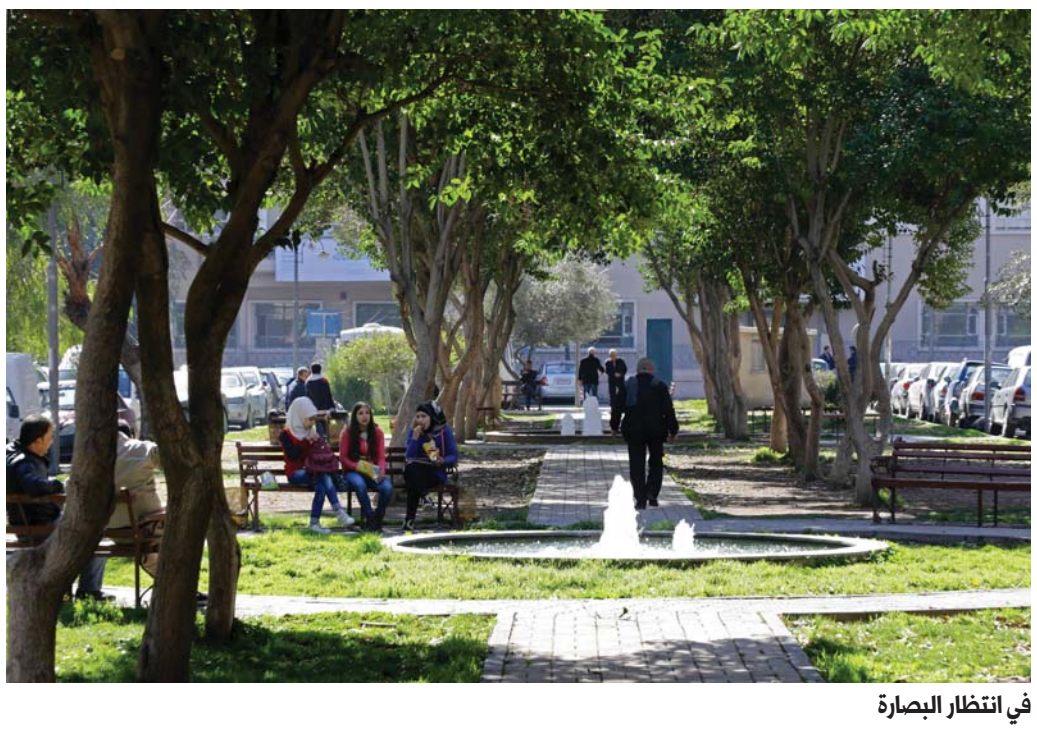

في انتظار البصارة

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

رحيمي والكعبي.. ثنائي مغربي من رحم المعاناة إلى كتابة التاريخ

أسود الأطلس محط أنظار كبار أوروبا في الميركاتو الصيفي

ثنائي مغربي يسير على درب العالمية

حصد الدوليان سفيان رحيمي وأيوب الكعبي ما زرعاه في بداياتهما الكروية، حيث أن نجوميتهما في الوقت الحالي على المستوى الدولي لم تأت صدفة، إذ تعذبا كثيرا لينالا ما يستحقان من مجهود واجتهاد. فتتويج رحيمي بجائزة أفضل لاعب وهداف مسابقة دوري أبطال آسيا مع العين الإماراتي، والكعبي كهداف وبطل المؤتمر الأوروبي مع أولمبياكوس اليوناني حمل بصمة.. "صُنِعَ في المغرب".

الرباط - خرج الثنائي المغربي أيوب الكعبي وسفيان رحيمي من رحم المعاناة والتدرج في أندية الهواة، حتى الاحتراف الخارجي وملامسة المجد. وحقق سفيان رحيمي لقب دوري أبطال آسيا رفقة العين الإماراتي، كما نال جائزتي أفضل لاعب وهداف المسابقة، بالإضافة إلى أنه أول مغربي يفوز بهذه البطولة عبر التاريخ.

وأحرز المغربي أيوب الكعبي نجم أولمبياكوس، هدف الفوز على فيورنتينا (1–0) في نهائي دوري المؤتمر، وبات أول لاعب يسجل 11 هدفا في الأدوار الإقصائية خلال نسخة واحدة من بطولة أوروبية للأندية.

الكعبي نشأ فقيرا يمتهن النجارة مثلما قال ذلك دون خجل مرارا، وبدأ مع الراسينغ بالدوري الثاني ليتوج معه هدافا، وترصده عيون نهضة بركان ليقطع الطريق على الغريمين في الظفر بخدماته. بينما رأى رحيمي النور داخل مركب الرجاء، ثم رحل لنجم الشباب، ومعه كان إصرار حامل الكرات الصغير في مباريات الرجاء وابن حامل أمتعة النادي الأسطورة محمد يوعري، كبيرا على الخروج من رماد التجاهل والعودة لاحقا لناديه.

> المغربي سفيان رحيمي نجم العين الإماراتي، زاد الغموض حول مستقبله، وسط اهتمام متزايد من الأندية السعودية لانتدابه

كلاهما استغل الوضع في نفس العام تقريبا 2018، الكعبي ينتقل لنهضة بركان ليضمه جمال السلامي لمنتخب المغرب للمحليين، ومعه دون مقدمات يعلن عن نفسه هدافا تاريخيا للشان بـ9 أهداف قادت المغرب للقبه الأول للمسابقة، ويلتقطه الوداد بعدها ويتوج معه بالدوري وهدافا للمسابقة بـ18 هدفا. ورحيمي بعد توقيع أول عقد احترافي مع الرجاء، استغل الفرصة في نهائي الكونفدرالية أمام فيتا كلوب ووقع ثنائية تاريخية، ودخل قلوب الجماهير ونال ثقة مدربه الإسباني غاريدو، لينطلق عداد الألقاب بلقب الكونفدرالية وبعده السوبر الأفريقي أمام الترجي وكأس محمد السادس أمام اتحاد جدة.

قواسم مشتركة

ولأن لكل مجتهد نصيب فقد نال أيوب جزاء الصابرين مثلما سيناله ابن يوعري بأن انتقلا للاحتراف وبمبالغ هائلة. وانتقل الكعبي لغوانزو الصيني في صفقة تعد الأعلى في تاريخ الدوري المغربي بـ6 ملايين يورو، كما انتقل رحيمي صوب العين في صفقة هي الأعلى للاعب غادر الرجاء صوب الخارج بـ3 ملايين و300 ألف يورو.

اللاعبان يؤكدان في تصريحاتهما الإعلامية على أنهما يفتخران بالنشأة والمعاناة ويريدان تسليط الضوء على حياتهما في فيلم وثائقي يصلح للشباب كي يكون ملهما في النجاح والإصرار، فكلاهما انطلقا من الهواة ولعبا للغريمين. و

كلاهما توجا بنفس البطولات لقب الشان مع المحليين مع استحواذ الكعبي نسخة 2018 بالمغرب على جوائز أفضل لاعب وهداف ولقب البطولة، وهي نفسها الجوائز التي كررها رحيمي نسخة 2021 بالكاميرون.

كما أن كلاهما قادا ناديهما مؤخرا للقب قاري، بأفضل هداف ولاعب رحيمي آسيويا مع العين، والكعبي أوروبيا مع أولمبياكوس، وعاد الثنائي بعد الاستبعاد من مونديال قطر لقائمة الأسود مع اعتذار واعتراف وليد الركراكي أنه ظلمهما بذلك الاستبعاد.

دمغ المغربي سفيان رحيمي مهاجم العين الإماراتي النسخة الأخيرة من دوري أبطال آسيا لكرة القدم بطابعه الخاص بعدما قاد فريقه للتتويج بلقبه الثاني بفوزه على يوكوهاما مارينوس الياباني 1–5 في إياب الدور النهائي(الذهاب 2–1) ونال لقب الهداف وجائزة أفضل لاعب في البطولة. وفي آخر مباراة من البطولة بصيغتها الحالية قبل أن تتحول إلى دوري أبطال آسيا للنخبة اعتبارا من 2025، قدم رحيمي (27 عاما) عرضا فرديا استثنائيا. وسجل المغربي أمام يوكوهاما مارينوس هدفين، وتسبب بركلة جزاء جاء منها الهدف الثاني عبر الباراغوياني أليخاندرو رومیرو، وفي طرد حارس مرمى الفريق الياباني وليام بوب، وكان وراء تمريرة حاسمة في هدف التوغولي لابا كودجو الرابع لفريقه.

كما كتب رحيمي اسمه الخاص في دوري أبطال آسيا بتسجيله 13 هدفا منها تسعة في الأدوار الإقصائية، ليتوج بلقب الهداف في النسخة الحالية، ويعادل الرقم القياسي والذي كان مسجلا باسم البرازيليين موريكي (غوانغجو إيفرغراندي الصيني، 2013)، وأدريانو (إف سي سيؤول الكوري الجنوبي، 2016)، والجزائري بغداد بونجاح (السد القطري، 2018).

وقال المهاجم المغربي بعدما أقام لاعبو العين له ممرا شرفيا في طريقه للتتويج بجائزتي أفضل لاعب وهداف "اللقب لم يأت من فراغ، هذا عمل سنوات ماضية، ويستحق جمهورنا هذه الفرحة". وتابع "كلمة السر تكمن في المجموعة بأكملها، كنا متحدين ومتماسكين. إذا أردت الحصول على نتيجة جيدة في أي مباراة، فيمكنك ذلك، من خلال التحلي بالروح والعزيمة والإصرار. إذا نظرت إلى بعض المباريات من بعيد، فسوف تتوقع إقصاء العين، لكننا حققنا ما كانوا يقولون عنه مستحيل بفضل عزيمتنا وإصرارنا. قدمنا بطولة آسيوية تاريخية، ونستحق أن تكون من نصيبنا في النهاية".

وسجل رحيمي 4 أهداف في دور المجموعات، لكنه انفجر في الأدوار الإقصائية بتسجيله 9 أهداف بينها ستة في مرمى النصر والهلال السعوديين بعدما حوله المدرب الأرجنتيني هرنان كريسبو من مركز الجناح إلى قلب الهجوم لتعويض غياب التوغولي لابا كودجو.

واعترف رحيمي بتأثير كريسبو كهداف سابق مع منتخب بلاده والأندية الكبيرة التي لعب لها في الأرجنتين وأوروبا "كريسبو يقدّم لنا بعض النصائح في غرفة خلع الملابس، وهي ما تجعلك تبرز بشكل أفضل، خصوصا بالنسبة لنا كمهاجمين.. تعلمنا الكثير منه، ودائما ما يحفزنا".

وبرز رحيمي كمحفز لزملائه أيضا، وأصبح حديثه بعد الفوز على الهلال 2–4 بينها ثلاثية"هاتريك" له في ذهاب نصف النهائي، بمثابة كلمات أيقونية في غرفة ملابس العين. وقال المهاجم الذي بدأ مسيرته مع مواطنه الرجاء البيضاوي قبل انتقاله إلى العين في 2021 حتى 2025 "بعد مباراة الهلال صرحت أن المباريات الكبيرة هي من تصنع الرجال، وهذه الكلمة أصبحت تتردد في غرفة الملابس قبل كل مباراة نلعبها، لتحفيز اللاعبين".

خطوات واثقة

وأكد بندر الأحبابي قائد العين "هذه النسخة من دوري أبطال آسيا هي بطولة سفيان"، في إشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه النجم المغربي بتتويج الفريق الإماراتي.

مستقبل غامض

زاد المغربي سفيان رحيمي نجم العين الإماراتي، الغموض حول مستقبله، وسط اهتمام متزايد من الأندية السعودية لضمه خلال صيف 2024. وسُئل رحيمي عن الفريق السعودي الذي بدأ المفاوضات معه، فرد بقوله "عقدي مستمر مع العين، وأكن كل الاحترام والتقدير للنادي الذي ألعب له، تتبقى سنة في العقد، ولا أفكر حاليا في أي شيء آخر". وأضاف في تصريحات لبرنامج صدى الملاعب، على شبكة MBC "هناك عروض أوروبية وخليجية وصلت النادي، لكن لا أستطيع قول شيء الآن".

ولم يوضح رحيمي، ما إذا كانت هناك أندية سعودية قدمت عروضا لضمه، مكتفيا بالإشارة إلى تلقيه عروضا من الخليج. وبسؤاله عن النادي السعودي الذي يتمنى الانتقال إليه بعد نهاية عقده مع العين، قدم الهدّاف المغربي، إجابة دبلوماسية جديدة. وقال "لا أستطيع تحديد ناد بعينه في الوقت الحالي، قد أقول شيئا ثم يحدث بعد ذلك شيء آخر، كل الأندية السعودية وجماهيرها على رأسي، عندما ينتهي عقدي وقتها، سأفكر وأختار". يذكر أن عقد سفيان رحيمي مع العين ينتهي بنهاية يونيو 2025.

عاد العين الإماراتي إلى قمة كرة القدم القارية مجددا بعد 21 عاما من الانتظار بأفضل طريقة ممكنة، رغم الشك الذي أحاط مسيرته بسبب إخفاقه المحلي، بإحرازه لقب دوري أبطال آسيا للمرة الثانية. وحجز النادي الإماراتي المقعد الرابع الأخير لقارة آسيا في مونديال الأندية 2025 بصيغته الموسعة، ليلحق بالهلال السعودي، أوراوا ردي دايموندز الياباني وأولسان هيونداي الكوري الجنوبي.

ولم يكن الفريق الأكثر تتويجا بالدوري الإماراتي (14 لقبا) والذي سبق له أيضا أن حلّ وصيفا في دوري أبطال آسيا في نسختي 2005 و2016 مرشحا لاستعادة عرشه القاري في الموسم الحالي الذي عانى فيه على الصعيد المحلي.

وعلى عكس مسيرته في 2003 عندما قاده الفرنسي الراحل برونو ميتسو لإحراز اللقب القاري الأول وتوّج في نفس العام بطلا للدوري الإماراتي، عانى العين في النسخة الحالية مع احتلاله المركز الثالث في الدوري وبفارق 16 نقطة عن الوصل المتصدر قبل مرحلة من الختام. كما ودّع الفريق كأس الإمارات بخسارة مفاجئة أمام الاتحاد كلباء 2–1 في ربع النهائي، ثم خسر نهائي كأس الرابطة أمام غريمه الوحدة 1–0.

وتخبّط العين فنيا بعد إقالته لمدربه الهولندي ألفريد شرودر في نوفمبر رغم أنه لم يخسر معه سوى مرتين في 14 مباراة خاضها في كافة المسابقات، وعيّن الأرجنتيني هرنان كريسبو بديلا له. وعرف "الزعيم" مع الدولي الأرجنتيني السابق نتائج سلبية تُعد الأسوأ لمدرب في النادي منذ عام 2000، حيث لعب في عهده 30 مباراة قبل إياب نهائي دوري أبطال آسيا وفاز 14 مرة مقابل 12 خسارة و4 تعادلات.

لكن إدارة العين لم تفقد الثقة به وجدّدت عقده لموسم إضافي، اعترافا بمسيرته الناجحة في الفريق آسيويا. وأقرّ النجم السابق لإنتر وميلان الإيطاليين وتشلسي الإنكليزي والذي جلس على الأرض والدموع في عينيه بعد التتويج باللقب القاري "بدأنا كفريق غير مرشح (في البطولة)، ولكن تفوّقنا بجدارة على النصر والهلال (السعوديين) ولعبنا كرة قدم جميلة".

وبعد تخطي عقبتي النصر بقيادة نجمه البرتغالي كريستيانو رونالدو في ربع النهائي (0–1 و1–3 بركلات الترجيح بعد خسارته في الوقتين الأصلي والإضافي 4–3) ومواطنه الهلال في نصف النهائي (2–4 و2–1)، كبرت طموحات العين الذي ألحق بالأخير ذهابا الهزيمة الأولى وأوقف سلسلته التاريخية بعد 34 فوزا على التوالي في كافة المسابقات. وتابع "في البداية لم يؤمن أحد بنا وقد فعلنا ذلك. هؤلاء الرجال، هؤلاء اللاعبون فعلوا شيئا كبيرا ليس للنادي بل للإمارات، أودّ أن أشكرهم، وأشكر الإدارة التي أعطتني الثقة".

> مهمة الأندية الإيطالية لن تكون سهلة في ظل اهتمام أندية فرنسية وإسبانية وإنجليزية بضم الهداف المغربي أيوب الكعبي

من جهته، قال حارس المرمى المخضرم خالد عيسى (34 عاما) "عانينا كثيرا في آخر موسمين محليا وخسرنا خمس بطولات، ولقد عوّضنا الله ببطولة كبيرة، وهذه بداية الانطلاقة لجيل الشباب في العين". وكشف "بعد مباراة النصر في ذهاب ربع النهائي (1–0) شعرت أن الفريق سيذهب بعيدا في البطولة".

صراع أوروبي

دخلت 3 أندية إيطالية في صراع من أجل الحصول على خدمات المغربي أيوب الكعبي. وحسب موقع كالتشيو ميركاتو الإيطالي، فإن أندية بولونيا وتورينو وجنوى ترغب في التعاقد مع الكعبي بعد قيادته أولمبياكوس لتحقيق دوري المؤتمر الأوروبي. وأوضحت التقارير أن مهمة الأندية الإيطالية لن تكون سهلة في ظل اهتمام أندية فرنسية وإسبانية وإنجليزية بضم الهداف المغربي أيضا.

صحيفة "ليكيب" اعتبرت صعود نجم اللاعب البالغ من العمر 30 عاما غامضا، حيث أنه رغم حداثة تجربته الأوروبية، إلا أنه بات ضمن أفضل هدافي المنافسات القارية. في مسيرة ضمت عدة محطات، بعضها متعثرة، ما بين الصين (هيبي فورتين، 2018 – 2020)، تركيا (هاتاي سبور، 2023–2021)، قطر (السد، 2023) أو العودة إلى بلاده (الوداد، 2020–2019). 2021).

لم يتخيل الطفل القادم من إحدى الأحياء الفقيرة بالدار البيضاء أنه سيصبح أسطورة يونانية. وقال الكعبي "لقد عملت بجد لدعم نفسي. وأنا فخور بذلك. هذا علمني أن الحياة ليست سهلة. وأنها تقوم في بعض الأحيان بتقلبات ومنعطفات غير متوقعة".

وقال عنه المدرب الفرنسي هيرفي رينارد، الذي ضمه لتشكيلة المغرب للكأس العالم في روسيا "إنه يتصرف دائما بشكل جيد للغاية، وكان لديه استعداد جيد جدا".

أما قائد المغرب رومان سايس فأشاد بمستواه قائلا "إنه عفوي للغاية وموجه نحو الهدف... يأخذ فرصته في كل وقت. هذه هي قوته. وهو لا يبخل بجهوده سواء في الهجوم أو الدفاع".

وكان خوسيه أنيغو، المدير الفني لأكاديمية أولمبياكوس، هو الذي استفسر من وليد الركراكي، المدرب، قبل وصول الكعبي، وقال لاحقا "كانت جميع ردود الفعل إيجابية. ويشير أنيغو إلى أنه بدأ التأقلم ببطء، لأن الكثير من الناس لم يعرفوه في البداية. لكنه كان محظوظا بوجود (يوسف) العربي في غرفة الملابس، والذي ساعده كثيراً على تطوير مهاراته".وحسب "ليكيب" فإن اللاعب يثير اهتمام الأندية الأوروبية، وبالتحديد الفرنسية، خاصة مع نهاية عقده في اليونان.

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

أنس جابر تصعد إلى الدور الرابع ببطولة رولان غاروس

شفيونتيك وغوف إلى ثمن النهائي وتأهل سينر وخروج روبليف

عادت المصنفة التاسعة عالميا التونسية أنس جابر إلى توهجها في عالم الكرة الصفراء، حيث تمكنت من الوصول إلى ثمن نهائي بطولة رولان غاروس عقب فوزها الجمعة على الكندية ليلى فيرناندیز، المصنفة 34 عالمياً، بمجموعتين دون مقابل.

باريس - تأهلت التونسية أنس جابر للدور الرابع ببطولة فرنسا المفتوحة للتنس وذلك عقب فوزها على الكندية ليلا فرناندیز 6 – 4 و7 – 6، في المباراة التي جمعتهما الجمعة بالدور الثالث من البطولة.

وضربت جابر موعدا في الدور الرابع مع الدنماركية كلارا تاوسون، التي تغلبت على الأميركية صوفيا كينن 6 – 2 و7 – 5.

وتأهلت جابر بفوزها على فيرناندیز (34) 6 – 4 و7 – 6 (5 – 7).

ووصلت جابر التي بلغت ربع النهائي الموسم الماضي، إلى هذه المرحلة من المسابقة للمرة الرابعة في سبع مشاركات، حيث ستواجه الدنماركية كلارا تاوسون (72) الفائزة على الأميركية صوفيا كينين.

وبعد فوزها بالمجموعة الأولى، كان على جابر أن تقاتل في الثانية فلم تتمكن من حسمها سوى بعد شوط كسر التعادل في لقاء دام ساعة و53 دقيقة.

> التونسية أنس جابر ستواجه في الدور القادم الدنماركية كلارا تاوسون (72) الفائزة على الأميركية صوفيا كينين

وعبرت إلى جانب أنس جابر، البولندية إيغا شفيونتيك المصنّفة أولى عالميًا وحاملة اللقب والأميركية كوكو غوف الثالثة إلى الدور ثمن النهائي لبطولة فرنسا المفتوحة، ثانية البطولات الأربع الكبرى في كرة المضرب، بفوزهن على التشيكية ماري بوزكوفا 6 – 4 و6 – 2 والأوكرانية دايانا ياستريمسكا 6 – 2 و6 – 4 والكندية ليلى فيرناندیز 6 – 4 و7 – 6 (5 – 7) توالياً في الدور الثالث الجمعة.

كما تأهل الإيطالي يانيك سينر المصنّف ثانيًا عالميًا والإسباني كارلوس ألكاراس الثالث بفوزين صريحين مقابل خروج مفاجئ للروسي أندري روبليف من الدور الثالث.

واحتفلت شفيونتيك بعيد مولدها الـ23 بأفضل طريقة ممكنة، بعدما عانت الأمرّين لتجاوز عقبة اليابانية ناومي أوساكا الفائزة بأربع بطولات كبرى في الدور السابق.

وتُعدّ المصنّفة أولى عالميًا من أبرز المرشحات للفوز باللقب للعام الثالث توالياً، وأن تصبح رابع لاعبة تفوز بلقب رولان غاروس أربع مرات في حقبة الاحتراف.

وستلعب شفيونتيك في الدور المقبل مع الروسية أناستازيا بوتابوفا (41).

من جهة أخرى، احتاجت ابنة العشرين عاماً، غوف، إلى ساعة و34 دقيقة كي تحقق فوزها الثاني في ثاني مواجهة لها مع الأوكرانية البالغة 24 عاماً والمصنفة 32، لتخوض بذلك ثمن النهائي للمرة الرابعة توالياً في ملاعب رولان غاروس حيث وصلت عام 2022 إلى النهائي قبل الخسارة أمام البولندية إيغا شفيونتيك.

وصنعت الأميركية المتوّجة بلقب فلاشينغ ميدوز صيف 2023 الفارق سريعاً في المجموعة الأولى حين انتزعت الشوط الثالث على إرسال منافستها، ثم كرّرت الأمر في السابع لتتقدّم 5 – 2 قبل أن تحسمها على إرسالها في 40 دقيقة.

وعادت غوف لتضرب بقوة في المجموعة الثانية التي استهلتها بانتزاع الشوط الأول على إرسال ياستريمسكا، لكن ورغم فوزها بالشوطين الخامس والسابع على إرسال الأخيرة، عانت بعض الشيء لحسم اللقاء بعدما فرّطت بإرسالها في الشوطين الثاني والثامن، قبل أن تنهي المباراة لصالحها 6 – 4.

وتلتقي غوف في اختبارها التالي الإيطالية إليزابيتا كوتشاريتو التي تغلبت بدورها على الروسية ليوديميلا سامسونوفا السابعة عشرة 7 – 6 (7 – 4) و6 – 2، لتحقق ابنة الـ23 عاماً أفضل نتيجة لها في البطولات الأربع الكبرى.

كما انضمت التشيكية ماركيتا فوندروشوفا الخامسة إلى ركب المتأهلات بفوزها على الفرنسية كلوي باكيه 6 – 1 و6 – 3.

ولدى الرجال، وصل سينر إلى الأسبوع الثاني من المنافسات بعد فوزه بثلاث مجموعات نظيفة على الروسي بافيل كوتوف 6 – 4 و6 – 4 و6 – 4.

وحقق بطل أستراليا المفتوحة الذي سيتخطى الصربي نوفاك ديوكوفيتش في صدارة التصنيف العالمي في حال بلوغه النهائي في رولان غاروس، 36 كرة رابحة ونجح في تفادي خسارة إرساله طوال المباراة.

وسيلتقي سينر في الدور المقبل مع الفرنسي كورنتان موتيه.

عودة قوية للمنافسة

ولم يخسر اللاعب الإيطالي الذي انهزم مرتين فقط طوال هذا العام أي مجموعة بعد في هذه البطولة.

وحذا حذوه ألكاراس بفوزه على الأميركي سيباستيان كوردا 6 – 4 و7 – 6 (5 – 7) و6 – 3.

وكان اللاعب الإسباني قد بلغ نصف نهائي النسخة الماضية قبل أن يخسر من الصربي نوفاك ديوكوفيتش الذي توج لاحقا باللقب.

وسيواجه ألكاراس في الدور المقبل الفائز بين الأميركي بن شيلتون والكندي فيليكس أوجيه-ألياسيم.

ومُنِيَ الروسي أندري روبليف المصنّف سادساً بخسارة مفاجئة أمام الإيطالي ماتيو أرنالدي المصنف 35 عالمياً 6 – 7 (6 – 8) و2 – 6 و4 – 6 في مباراة استمرت ساعتين و33 دقيقة ليبلغ الفائز الدور الرابع.

والفوز هو الأول لأرنالدي على لاعب مصنّف بين العشرة الأوائل في بطولات الغراند سلام وسيلتقي في الدور التالي مع اليوناني ستيفانوس تسيتسيباس أو الصيني جانغ جيجن.

وكانت أفضل نتيجة لأرنالدي في البطولات الكبرى، بلوغه الدور الرابع أيضاً في فلاشينغ ميدوز العام الماضي قبل خسارته أمام الإسباني كارلوس ألكاراس.

وقال أرنالدي "لا شكّ بأن الفوز في المجموعة الأولى أعطاني ثقة عالية بالنفس خلال هذه المباراة التي لم أكن المرشح للفوز بها". وتابع "لم يقدّم منافسي أفضل كرة مضرب له لكن خطتي نجحت جيداً".

من جهته قال روبليف "أشعر بخيبة أمل تامة من نفسي بسبب الطريقة التي تصرفت بها، والطريقة التي أديت بها".

وتابع "المشكلة هي الرأس، لقد قتلت نفسي اليوم، وهذا كل شيء".

وكان روبليف الفائز بدورة مدريد لماسترز الألف نقطة مطلع الشهر الحالي سباقا لكسر إرسال منافسه في المجموعة الأولى قبل أن يهدر فرصة حسمها في الجولة الحاسمة.

وبلغ اليوناني ستيفانوس تسيتسيباس الدور المقبل بفوزه على الصيني تشانغ تشينجين .

لاعبو الهلال السعودي: نستحق التتويج بالثلاثية المحلية

الرياض - أعرب لاعبو الفريق الأول لكرة القدم بنادي الهلال السعودي ورئيس النادي، عن سعادتهم بتتويجهم بلقب بطولة كأس خادم الحرمين الشريفين الجمعة.

وتوج الهلال للمرة الثانية على التوالي والحادية عشرة في تاريخه بلقب بطولة كأس خادم الحرمين الشريفين بعد الفوز على النصر 5 – 4 بركلات الترجيح عقب انتهاء الوقتين الأصلي والإضافي بالتعادل 1 – 1.

وكان لقب كأس خادم الحرمين الشريفين هو ثالث لقب محلي يحرزه الهلال في الموسم، حيث سبق له التتويج بلقب دوري روشن وكأس الدرعية للسوبر السعودي.

وفي البداية أشاد فهد بن نافل، رئيس النادي، بالمستوى الكبير الذي خرجت به المباراة النهائية والتي عكست ما وصلت إليه الكرة السعودية.

وهنأ بن نافل لاعبيه على الفوز بهذه المباراة التي كانت صعبة وشهدت كمية كبيرة من البطاقات الملونة ما تسبب في تغير سيناريوهاتها.

وشهدت المباراة طرد ثلاثة لاعبين هم ديفيد أوسبينا، حارس النصر، وكاليدو كوليبالي وعلي البليهي من الهلال.

وعن ترشحه لسنة جديدة مع الهلال قال بن نافل "العمل في الهلال يسعدني لكنه عمل صعب يأخذك من كل شيء، سنتباحث خلال الأيام القادمة قبل الانتخابات وعندها سأتخذ قراري".

من جانبه أكد الصربي ألكسندر ميتروفيتش مهاجم الهلال أن فريقه توج بلقب مستحق بعد مباراة خاضها اللاعبون بروح قتالية كبيرة أمام النصر الذي هنأ لاعبيه على المستوى الكبير الذي قدموه.

وقال ميتروفيتش عقب التتويج "كانت ليلة رائعة جدا للجماهير، لكن كانت صعبة على اللاعبين، أهنئ النصر على كفاحهم حتى النهاية وكان من الممكن أن يفوزوا باللقاء".

وأضاف ميتروفيتش "قدم الجميع أفضل ما لديهم بروح قتالية لاسيما من لاعبي الهلال الذين واجهوا ظروفا صعبا خلال اللقاء لكن تعاملنا معها بنجاح".

وعن تحقيق الهلال لثلاثية تاريخية هذا الموسم قال ميتروفيتش "إنه أمر رائع لكنه لن يوقف الفريق الذي سيسعى العام المقبل لتحقيق الرباعية وتعويض الجماهير بعد خسارة اللقب الآسيوي".

وكان الهلال فشل في التتويج بلقب دوري أبطال آسيا بعد خسارته أمام العين الإماراتي في الدور قبل النهائي بنتيجة 5 – 4 في مجموع مباراتي الذهاب والإياب.

وأعرب المغربي ياسين بونو حارس الهلال عن سعادته بقيادة فريقه للتتويج بكأس خادم الحرمين الشريفين، مشددا على أن "جميع اللاعبين قدموا اليوم أفضل ما لديهم رغم صعوبة اللقاء".

وأضاف بونو أن "الهلال واجه ظروفا صعبة بسبب حالتي الطرد لكن اللاعبين قدموا أقصى جهد لهم من أجل استكمال المباراة والبقاء فيها".

وقال بونو إن "الهلال أكثر من مجرد فريق حيث يمتلك الشخصية للتغلب على أيّ سيناريوهات صعبة أو متقلبة وهو ما شهده الجميع في هذه المباراة".

وعما إذا كان التتويج بالثلاثية المحلية يعوض خسارة اللقب الآسيوي، أكد بونو أن "الهلال كان عازما على تحقيق كل الألقاب هذا الموسم لكن هذه هي كرة القدم وفي النهاية حقق الهلال موسما استثنائيا".

وقال البرتغالي روبن نيفيز إن "الهلال قدم مستوى استثنائيا حقق خلاله كل الألقاب المحلية، مشيرا إلى أن هذا العام لا توجد ألوان أخرى في سماء الرياضة السعودية سوى الأزرق".

وأكد أن لاعبي الهلال هم من صعبوا المباراة على أنفسهم حيث لم يستفيدوا من الزيادة العددية أمام النصر الذي تمكن من العودة في النتيجة، بالإضافة إلى أن الفريق لعب الشوطين الإضافيين منقوصا من لاعبين وهو ما أربك حساباتنا.

> الهلال واجه ظروفا صعبة بسبب حالتي الطرد لكن اللاعبين قدموا أقصى جهد لهم من أجل استكمال المباراة والبقاء فيها

وأضاف نيفيز أنه واللاعبين "تفادوا الأخطاء التي وقعوا فيها خلال اللقاء وقدموا مستوى مميزا في الوقت الإضافي ليحسم الفوز في ركلات الترجيح بقيادة الحارس ياسين بونو"، موضحا أن "الفريق قدم مستوى تاريخيا هذا الموسم ولم يخسر طوال 50 مباراة خاضها هذا الموسم باستثناء مباراة واحدة، وللأسف كانت خسارة كلفت الفريق اللقب الآسيوي".

ألمانيا تستضيف مسابقة كأس أمم أوروبا بعشرة ملاعب

نيقوسيا - تقام نهائيات كأس أوروبا لكرة القدم هذا الصيف بين 14 يونيو و14 يوليو في 10 ملاعب موزّعة على 10 مدن ألمانية، تسعة من الملاعب العشرة ساهمت في استضافة مونديال 2006، باستثناء دوسلدورف أرينا.

وستستضيف ميونخ، مباريات في البطولة بعدما كانت ضمن 11 مدينة تستقبل مباريات النسخة الماضية

واستقبل الملعب الأولمبي (71 ألف متفرج)، وهو الملعب الذي يعتمده فريق هرتا برلين (درجة ثانية حالياً)، أولمبياد 1936، نهائي مونديال 2006 ونهائي دوري أبطال أوروبا 2015. ويحتضن نهائي كأس ألمانيا دون انقطاع منذ 1985. وسيكون ملعب نهائي كأس أوروبا 2024 في 14 يوليو.

وافتُتح في أغسطس 1936 وشهد تجديداً في 2000 و2004. وبرلين هي عاصمة ألمانيا بعد التوحيد عام 1990. وإحدى أكثر المدن الألمانية جاذبية وتنوّعاً. وتعجّ المدينة المستقطبة للسياح بالتاريخ والثقافة، على غرار بوابة براندنبورغ وبرج التلفزيون البالغ طوله 368 متراً.

وافتتح ملعب "أليانتس أرينا" الذي بناه فريقا بايرن ميونخ وميونخ 1860 عام 2005، قبل أن يستحوذ بايرن على الملكية كاملة. واحتضن افتتاح مونديال 2006 ونهائي دوري أبطال أوروبا 2012 عندما تفوّق تشلسي الإنجليزي على المضيف بايرن ميونخ بركلات الترجيح.

كما استضاف مباريات في كأس أوروبا 2020 صيف العام 2021، وسيكون ملعب المباراة الافتتاحية بين ألمانيا وأسكتلندا في 14 يونيو وإحدى مباراتي نصف النهائي.

ويقطن ميونخ 1.6 مليون نسمة وهي ثالث أكبر مدينة في ألمانيا. وجهة مليئة بالتاريخ، والمعارض الفنية، والمتنزهات.

ويُعدّ ملعب بوروسيا دورتموند (سيغنال إيدونا بارك) (62 ألف متفرّج)، من الأشهر في العالم بفضل "الجدار الأصفر" لمشجعيه المتفانين. وافتُتح عام 1974 وشهد عملية تجديد في 2003. واستضاف مباريات هامة من بينها نهائي كأس الاتحاد الأوروبي 2001 بين ليفربول الإنجليزي وآلافيس الإسباني. وسيحتضن إحدى مباراتي نصف النهائي في كأس أوروبا 2024. وتُعدّ دورتموند القلب الثقافي لإقليم الرور.

> ملعب بوروسيا دورتموند (سيغنال إيدونا بارك) (62 ألف متفرّج)، يعد من أشهر الملاعب في العالم بفضل «الجدار الأصفر»

وأعيد بناء ملعب كولن (راين إنرجي شتاديون، مونغرسدورفر شتاديون) (43 ألف متفرّج) الخاص بنادي كولن الهابط إلى الدرجة الثانية، استعداداً لمونديال 2006، بعد افتتاحه في 1923 وخضوعه لمرحلة تجديد أولى في 1975. واستقبل مباريات في كأس أوروبا 1988، وكأس القارات 2005 ومونديال 2006. ومنذ 2010، يحتضن دون انقطاع نهائي كأس ألمانيا للسيدات، بالإضافة إلى مباريات كرة قدم الذي شارك في الدرجة الأولى آخر مرة موسم 2019 – 2020. واستضاف الملعب الذي كان يُعرف سابقاً تحت اسم "راينشتايدون"مباريات دور المجموعات في كأس أوروبا 1988. ويقطن في دوسلدورف، عاصمة شمال راين – فستفاليا، 650 ألف نسمة وفي مدينتها القديمة أكثر من 250 حانة للجعة ومطعماً، فوُصفت بـ"أطول حانة في العالم".

ملعب ضخم للمارد الأصفر

وافتتح ملعب كولن أرينا (مركور شبيل أرينا) (47 ألف متفرّج)، ويعتمده فريق فورتونا دوسلدورف أميركية، وهوكي على الجليد وحفلات موسيقية. وتقع كولن العابقة بالتاريخ على نهر الراين ويقطنها أكثر من مليون نسمة. وتحتضن أهم موقع سياحي في ألمانيا: كاتدرائية القديس بطرس، أحد مواقع التراث العالمي لليونيسكو.

من جهة أخرى، افتتح ملعب فرانكفورت أرينا (دويتشي بانك بارك، فالدشتاديون) (47 ألف متفرّج) وهو ملعب نادي أينتراخت فرانكفورت في مايو 1925. واستضاف مباريات في مونديال 1974 بينها الافتتاح، وكأس أوروبا 1988، وكأس القارات 2005 وكأس العالم 2006. وتُعدّ فرانكفورت مركزاً عالمياً للتمويل والتجارة، تقع على ضفاف نهار ماين. هي خامس أكبر مدينة في ألمانيا وأكسبها أفقها المميز لقب "مانهاتن".

ويملك نادي لايبزيغ ملعباً متطوّراً (ريد بول أرينا، تسنترال شتاديون) (40 ألف متفرّج)، ويتميّز بسقف حديث افتُتح عام 2004. وأعيد بناؤه داخل هيكل ملعب تسنترال شتاديون القديم، الأكبر في ألمانيا الشرقية سابقاً. واستضاف مباريات في مونديال 2006. وتعجّ لايبزيغ بالتاريخ وسكنها في الماضي الموسيقي يوهان باخ. وعرفت تظاهرات سلمية في 1989 استحوذت على مزاج الشارع مع توجّه ألمانيا لإعادة توحيد الشطرين.

العرب
الأحد 2024/06/02
السنة 47 العدد 13148

الآثار السورية تطل على الجمهور العالمي من الصين

يحتضن متحف يقع في شرق الصين جولة جديدة من سلسلة جولات تنظمها المعارض الفنية الصينية والمديرية العامة للآثار والمتاحف في سوريا، وذلك بهدف التعريف بالتراث الثقافي السوري، والغوص في الحضارة السورية، والوقوف كذلك على عراقة العلاقات بين البلدين.

كتاب مفتوح على الحضارة السورية

بكين - يجتذب متحف سور مدينة نانجينغ في مقاطعة جيانغسو بشرق الصين الزوار الصينيين والأجانب للاستمتاع بالتجول في معرض يضم مجموعة من الآثار الثقافية من سوريا والتعرف على الحضارة السورية عن كثب.

ويُسلط المعرض، الذي انتظم بداية من الثامن عشر من مايو الماضي ويستمر حتى الثامن عشر من أكتوبر المقبل، الضوء على الثقافة والحضارة السوريتين، ويعتبر جزءا من سلسلة جولات تنظمها المعارض الفنية الصينية والمديرية العامة للآثار والمتاحف في سوريا. وبدأت الجولة في عام 2021، احتفالا بالذكرى الخامسة والستين لتأسيس العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

وكان المدير العام للمديرية العامة للآثار والمتاحف في سوريا، محمد نظير عوض، أكد أن القطع الأثرية السورية، التي تم عرضها في المعارض في معظم أنحاء الصين، توفر نافذة فريدة للاطلاع على التراث الثقافي الغني لسوريا، لافتا إلى أن المعرض لاقى نجاحا كبيرا ورواجا من قبل الزوار الصينيين.

وشدد عوض، في مقابلة مع وكالة الأنباء الصينية (شينخوا)، على أهمية عرض الآثار السورية في المعارض في الصين، مؤكدا أن مثل هذه الفعاليات تلعب دورا حاسما في عرض التراث السوري للعالم، خاصة في بلد مثل الصين الذي يستقطب عددا كبيرا من السياح الأجانب.

ويهدف وجود الآثار السورية في الصين إلى تعريف الجمهور العالمي بالثقافة السورية، وتعزيز العلاقات الثقافية مع الشعب الصيني، وتقوية الروابط بين البلدين من خلال التعلم والتعاون المتبادل، وفق عوض، متابعا "أردنا أن يبقى المعرض في الصين ليكون في متناول العديد من الزوار من جميع أنحاء العالم للتعرف على الحضارة السورية".

وأشار إلى أنه كان هناك قرار بتمديد المعرض في الصين، قائلا إن القرار جاء بناء على المصداقية والإدارة الجيدة التي لوحظت خلال الحدث من حيث تنظيم المعرض، والتعامل مع جميع جوانب الحدث، وتقديم القطع الأثرية بطريقة أنيقة عبر استخدام التكنولوجيا.

وبيّن أن القطع التي أرسلت إلى المعرض في الصين هي قطع حقيقية تعود إلى حضارات مختلفة ومنها قطع فنية متعددة، منوها بأن القطع الأثرية التي أرسلت للصين للمشاركة بالمعرض تم اختيارها من الجانب الصيني بعناية.

وأوضح مدير متحف سور مدينة نانجينغ، جين ليان يوي، أن المتحف اتخذ إجراءات استعداد مكثفة للترحيب بوصول هذه الكنوز، بما في ذلك تخطيط طريق النقل وترتيب حالات عرض متنوعة لتوفير بيئة آمنة ومستقرة مع ظروف درجة حرارة ورطوبة مثالية لهذه الكنوز الأثرية.

ولفت جين إلى أن "الناس محظوظون لرؤية هذا التراث الثقافي الثمين"، مشيرا إلى حرص القائمين على المعرض على إيجاد الزوايا المثالية التي توفّر مشاهدة تفاصيل هذه الآثار من خلال اعتماد طرق عرض مختلفة مثل تحريك قواعد العرض ووضع المرايا.

ويعتبر شياو فا هوا، وهو أحد موظفي المتحف، أنه "مشروع معرض كبير ومُعقّد بالنظر إلى ما تتميز به الآثار من كميات كبيرة وأحجام مختلفة، حيث يبلغ ارتفاع أكبرها أكثر من متر واحد ويزن 679 كغ، بينما يبلغ طول أصغرها 1.7 سم ويزن بضعة غرامات".

ويرى عوض أن الصين "تعتبر وجهة سياحية شهيرة، ما يجعلها مكانا مثاليا لعرض الحضارة السورية أمام جمهور متنوع"، مشيرا إلى أنهم قرروا تمديد فترة المعرض.

وسيكون بإمكان زوار المعرض أيضا ملاحظة أوجه التشابه بين الثقافتين الصينية والسورية القديمتين، لاسيما في سعيهما المشترك لإظهار الحرفية الرائعة وتقديس الأجداد والتطلع إلى حياة أفضل، بحسب تشن كوان، نائب مدير متحف جياشينغ في مقاطعة تشجيانغ بشرق الصين، أحد المتاحف المُضيفة لجولة المعرض المذكور.

و"يعد المعرض دليلا آخر على أن البلدين يشتركان في تبادلات ثقافية مزدهرة"، وفق ليو شين لو، عميد كلية الدراسات العربية بجامعة بكين للدراسات الأجنبية.

العراقيون يواجهون الموت كل عشر دقائق.. والقاتل معلوم

بغداد - كشفت وزارة الصحة العراقية بالتزامن مع اليوم العالمي للامتناع عن التدخين الذي يحتفل به سنويا في الحادي والثلاثين من مايو، أن ضحايا هذا القاتل الصامت من المتوقع أن تسجل زيادة بمعدل وفاة مدخن كل عشر دقائق، لاسيما أن 20 في المئة من العراقيين البالغين يدخنون.

ورغم أن التدخين في العراق يعد سلوكا واسع الانتشار ومقبول ثقافيا في المجتمع العراقي، إلا أنه منذ العام 2003 كان هناك ضغط كبير من الحكومة لفرض قواعد صارمة بخصوص التدخين، حيث في عام 2009 أصبح من غير القانوني التدخين في المباني العامة أو حولها، وإن كان الحظر لا يزال غير مرغوب فيه لدى الجمهور العراقي وتنفيذه غير منتظم.

وتظهر الإحصائيات الرسمية الأخيرة تصاعد الظاهرة وتناميها، لاسيما في صفوف المراهقين والشباب، حيث أكد معاون مدير برنامج مكافحة التبغ في الوزارة، وسيم كيلان، أن "20 في المئة من العراقيين" البالغين 18 عاما أو أكثر "يدخنون التبغ بمختلف أنواعه".

وأشار كيلان في تصريح لبرنامج "واجب الصراحة" الذي تبثه العراقية الإخبارية وتابعته وكالة الأنباء العراقية (واع)، إلى أن ما بين 40 و50 في المئة من العراقيين يعانون من التدخين السلبي بسبب تعرضهم غير المباشر إلى دخان التبغ"، مبينا أن "الغالبية العظمى من المدخنين هم من الرجال".

وكانت دراسات سابقة أثبتت أن معدل التدخين في العراق هو 31 في المئة للرجال و4 في المئة للنساء.

> الإحصائيات الرسمية الأخيرة تظهر تصاعد ظاهرة التدخين وتناميها، لاسيما في صفوف المراهقين والشباب

ويصل الإنفاق على التدخين إلى ستة مليارات دينار يوميا (ما يعادل 4.5 مليون دولار)، وفق كيلان، مضيفا "شخّصنا وجود مواد سامة وأخرى مخدرة في السجائر العادية والإلكترونية والمعسل"، مشيرا إلى أن السجائر الإلكترونية تحتوي على 127 مادة سامة بينها الرصاص".

ويؤثر التدخين مبكرا على نمو الدماغ، حيث توجد اليوم سجائر إلكترونية على شكل (مقطاط) في المدارس"، بحسب كيلان، مشددا على أن وزارة الصحة تتوقع "تسجيل حالة وفاة كل 10 دقائق بسبب التدخين في العراق".

وأكد أن "هناك صعوبات تعترض تطبيق قانون مكافحة التبغ، ولكن هناك مشروع قانون جديد في البرلمان للحماية من أضرار التبغ، فيه آليات واضحة للتطبيق".

يشار إلى أن نتائج دراسة أجريت في العام 2015 من قبل دعاة الصحة كشفت أن حوالي 55 عراقيا يموتون يوميا بسبب الأمراض المرتبطة بالتبغ، مقارنة مع وفاة 10 أشخاص يوميا في العراق بسبب الإرهاب والعنف.

من جهتها، قالت منظمة الصحة العالمية، مؤخرا، إن شركات التبغ ما زالت تسعى جاهدة لاستهداف الشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي والرياضة والمهرجانات الموسيقية وبالمنتجات الجديدة ذات النكهات واتهمت الشركات بمحاولة إيقاع جيل جديد في حبائل النيكوتين.

ووسط لوائح أكثر صرامة تستهدف السجائر، بدأت شركات التبغ الكبرى والشركات التي دخلت الساحة حديثا في تقديم بدائل للتدخين مثل السجائر الإلكترونية التي يقولون إنها تستهدف المدخنين البالغين.

فاجأت الفنانة التونسية لطيفة العرفاوي جمهورها بخطوة تعد الأولى من نوعها في الوطن العربي، وفق تعبيرها في تدوينة نشرتها على حسابها بإنستغرام، تتمثل في استعانتها بتقنية الذكاء الاصطناعي في أربعة كليبات من ألبومها الجديد تحت إدارة المخرج وليد ناصيف، معربة عن سعادتها بهذه التجربة، قائلة «انتظرونا قريبا إن شاء الله ستشاهدون أشياء جميلة».

هولندا تسعى لحظر يوغا الكلاب والقطط

أمستردام - تدرس هولندا إمكانية فرض حظر على "يوغا الكلاب"، وفق ما أعلن وزير الزراعة الهولندي بيت أديما قائلا إن هذه الممارسة الشائعة التي يتم خلالها إشراك جراء صغيرة في ممارسات مختلفة أثناء ممارسة اليوغا، تتعارض مع الرفق بالحيوان.

وحققت "يوغا الكلاب" نجاحا كبيرا في هولندا منذ إطلاقها في البلاد قبل بضعة أشهر، وخصوصا في أمستردام.

وقال وزير الزراعة الجمعة إنه يعارض هذه الممارسة، مشيرا إلى أن الجراء كثيرا ما يتم إيقاظها من النوم لاستخدامها في هذه الجلسات، وأن الكثير من الحيوانات أبدت سلوكا يدل على التوتر.

وأوضح أديما لوكالة الأنباء الهولندية "إيه إن بي" بعد اجتماع وزاري "لا أعتقد أن هذا مناسب، فالجراء تحتاج إلى النوم، إذ أنها في مرحلة مبكرة جدا من نموها".

وشدد الوزير على وجوب "مقارنة ذلك بما يحصل لدى الأطفال. لا يمكن حمل طفل طوال اليوم وجعله يقوم بأمور شتّى. يحتاج الأطفال إلى النوم"، مضيفا أن يوغا الكلاب ممارسة "بلا فائدة وبلا معنى، ويجب وضع حد لها".

وأجرت وكالة مراقبة المنتجات الاستهلاكية الهولندية، المسؤولة أيضا عن رعاية الحيوانات، تحقيقا في هذا النشاط الجديد وقررت أنه "لا يترك مساحة كافية لتلبية احتياجات الكلاب".

ولفت الوزير إلى أنه يريد فرض حظر كامل على ممارسة يوغا الكلاب وكذلك حظر استخدام الحيوانات الصغيرة الأخرى مثل القطط الصغيرة.

صباح العرب

الحبيب الأسود

تحت الياسمينة في الليل

لم يخف التونسيون سعادتهم وفخرهم، وهم يشاهدون ويستمعون إلى تشكيلات الموسيقى العسكرية الصينية وهي تعزف لحن واحدة من أجمل أغانيهم الخالدة خلال الاستقبال الرسمي الكبير الذي حظي به الرئيس قيس سعيد من قبل نظيره شي جينبينغ في بكين.

وقد اعتاد الصينيون على اختيار قطع موسيقية من تراث بلد كل قائد يحل ضيفا على بلادهم في زيارة دولة، انطلاقا من قناعة لديهم بأن الثقافة قادرة دائما على توطيد علاقات الصداقة بين الشعوب، وأن أعظم ما يتميز به التراث الموسيقي والغنائي لأيّ بلد من البلدان هو سلاسة تغلغله في وجدان المتلقي.

وقد كانت الصين القديمة تعرف باسم "أرض الطقوس والموسيقى"، حيث كان الناس يهتمون بالموسيقى بشكل كبير، وكان كونفوشيوس نفسه موسيقيا عظيما. وقد تولى تدريس الموسيقى كواحدة من "الفنون الستة" لثلاثة آلاف تلميذ، ولديه ما يقرب من 30 ملاحظة وممارسة حول الموسيقى من العزف والتلحين والتعليم والتقييم والتدوين وتحديد الوظائف.

ولعل الصينيين انتبهوا للقطعة الموسيقية التونسية التي عزفها طابور الشرف للرئيس سعيد وجينبينغ، وهي لحن أغنية "تحت الياسمينة في الليل" الذي ذاع صيتها بصوت المطرب والملحن التونسي الهادي الجويني، وقد نظمت كلماتها شاعرة مغمورة لم تنظم غيرها، اسمها السيدة عزة، وتم تسجيلها لأول مرة بصوت الفنانة حسيبة رشدي (10 يناير 1918 – 26 سبتمبر 2012) التي تعتبر واحدة من أيقونات الغناء والتمثيل في تونس، وقد سجلت أول ألبوماتها في باريس مع محمد الجموسي ومحمد التريكي الذي تزوجها لفترة، ثم سافرت في الأربعينات إلى مصر حيث كانت أول تونسية تحصل هناك على دور البطولة الأولى من خلال فيلم "دماء في الصحراء" مع عماد حمدي وإبراهيم عمارة ومحمد توفيق، ثم قامت ببطولة فيلم "طريق الشوك" مع حسين صدقي، ولكنها اختارت وهي في أوج نجاحها مغادرة مصر بعد زواجها من ضابط أميركي لتعيش فترة في نيويورك قبل أن تعود إلى تونس في الخمسينات بسبب وفاته.

وأما الهادي الجويني (1909 – 30 نوفمبر 1990)، فقد ذاع صيته عربيا منذ تسعينات القرن الماضي بأغنيته التي تعود إلى فترة الأربعينات "لا موني الليبي غاروا" من كلمات الشاعر والملحن والرسام والكاتب الليبي البشير فهمي (1907 – 1972)، وقد تداول على أدائها عدد مهم من الأصوات التونسية والعربية.

وتعد "تحت الياسمينة في الليل" من أبرز أعماله التي تميزت بالبساطة والسلاسة والشاعرية، وهي في مقام الكرد وعلى إيقاع الفالس الذي بدأ في النمسا وألمانيا، ومنهما انتشر في أنحاء كثيرة من العالم، خصوصا بعد أن نظم الموسيقار النمساوي يوهان شتراوس الابن مقطوعته الدانوب الأزرق عام 1866، ومن أبرز من قدموا هذا الإيقاع في الموسيقى العربية الموسيقار محمد عبدالوهاب الذي اعتمده لأول مرة في عام 1928 في أغنيته الخاصة "أهون عليك" كما قدمه فريد الأطرش في لحن أغنية "ليالي الأنس في فيينا" الذي أدته شقيقته أسمهان.

ولعل الروح العالمية للإيقاع والإحساس المتدفق في اللحن ساعد الفرقة الصينية على عزفه بتلك الدقة والجودة والجمال في حضرة الرئيسين سعيد وجينبينغ.